شارل دى جول

Charles Andre Joseph Marie DE GAULLE

٢٢ نوفبر سنة ١٨٩٠ ــ ٩ نوفبر سنة ١٩٧٠

مولده ونشأته :

ولد شارل أندريه جوزيف مارى دى جول بمدينة ليل بفرنسا فى اليوم الثانى والعشرين من شهر نوفبر سنة ١٨٩٠ . والده هنرى دى جول كان أستاذاً للتاريخ بكلية كاثوليكية تابعة للآباء الجزويت بباريس . والدته جان كارولين . لم تكن عائلته مترفة ولكن كانت عائلة بورجوازيه تعيش عيشة متيسرة .

فى سنة ١٩٠٦ عندما نشأت الأزمة الحادة بين الكنيسة الكاثوليكية وحكومة الجمهورية فى فرنسا وتقرر فصل الكنيسة عن الدولة وقامت الحكومة بمصادرة أملاك الكنيسة وتلقى الجيش أمراً من الحكومة باخلاء الأديرة رفض عدد من الضباط إطاعة هذه الأوامر وقدموا أستقالاتهم . كان المعهد الذى يعمل به والد دى جول ضمن المعاهد الدينية التى أغلقت فأصبح عاطلا عن العمل ولكنه تمكن من أن يبعث بابنه شارل إلى بلجيكا ببلده « آنتوانج » ــ حيث أنتقل إليها الآباء الجزويت ــ لمواصلة دراسته .

أصبح أمل شارل دى جول ــ وهو الآن فى السابعة عشرة من عمره أن ينتظم فى صفوف الجيش ، إذ كان مشبعاً بصفتين منذ طفولته وهما حب النظام والاعتداد بالرأى ، كما عرف بصلابة أخلاقه وقوة شخصيته وتعلقه بوطنه وبحديثه عن عظمة الدولة الفرنسية .

فى سنة ١٠٩ تقدم شارل دى جول إلى مسابقة الالتحاق بالمدرسة العسكرية الخاصة « سان سير » ، كان ترتيبه بين المتقدمين الـ ١١٩ الأمر الذى لم يلفت الانظار . لم يتميز شارل دى جول حتى الآن بشىء ، بل كان طالبا كغيره من الطلاب الذين ينتمون إلى طبقة البورجوازية الصغيرة المتدينة ، كان محترماً للنظام الموضوع متطلعاً لخدمة الجيش ، ومن خلال

خدمته فى الجيش خدمة بلاده وتحقيق أحلامه فى الترقى فى صفوف القوات المسلحة .

فى أكتوبر سنة ١٩١٣ أصبح شارل دى جول ضابطاً برتبة ملازم بسلاح المشاه تحت قيادة الكولونيل « فيليب بيتان » .

فى سنة ١٩١٤ أغتيل ولى عهد النمسا فى سيراييفو ، واشتد ضغط روسيا على فرنسا لكى تدخل الحرب ضد ألمانيا . كان الرأى العام الفرنسى واثقاً من النصر ومطمئناً إلى أن الأمر لا يحتاج لأكثر من عبور نهر الراين ثم دخول برلين ، ولكن الضابط شارل دى جول أظهر تشاؤماً لقائده الكولونيل فيليب بيتان . ما أن بدأت الحرب حتى تقهقر الجيش الفرنسى أمام الزحف الألمانى حتى نهر المارن ، وكانت كارثة عسكرية للجيش الفرنسى .

أشترك شارل دى جول فى العمليات الحربية خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) وجرح ثلاث مرات الأولى فى ١٥ أغسطس سنة ١٩١٤ والثانية فى ١٥ مارس سنة ١٩١٥ . وفى ٤ سبتمبر سنة ١٩١٥ رقى إلى رتبة كابتن . وفى ٢ مارس سنة ١٩١٦ وكانت موقعة « فردان » قد بدأت أبيدت الفصيلة التى كان يقودها الكابتن شارل دى جول وجرح للمرة الثالثة وأخذه الألمان أسيراً واعتبره قائده بأنه قد أبيد مع فصيلته فأبلغت عائلته بقتله . ظل شارل دى جول أسيراً بيد الألمان لمدة عامين حاول الفرار أثنائها خمس مرات ولم يوفق .

عندما وقعت الهدنة فى ١١ نوفبر سنة ١٩١٨ وانتهت الحرب العالمية الأولى عاد شارل دى جول إلى عائلته من الأسر وكان لا يزال برتبة كابتن ، ورأى كيف أن أحوال فرنسا قد تغيرت ، التحق بفرقة المتطوعين التى كونت فى فرنسا لتنضم إلى القوات البولندية التى كانت تحارب الجيش الاحمر الروسى وسافر إلى بولندا مع تلك الفرقة . بعد أن حارب دى جول فى صفوف فرقة المتطوعين الفرنسيين وحصل على تقدير خاص من قائد الفرقة « الجنرال فيجان » وأنتهت مهمة الفرقة عرض عليه أن يبقى فى بولندا

كأستاذ للعلوم العسكرية فى أكاديميتها العسكرية فقبل وظل يعمل بها حتى أكتوبر سنة ١٩٢١ — كان فى ٧ أبريل سنة ١٩٢١ قد تزوج من الآنسة « ايفون فاندرو » وهى ابنة أحد أصحاب المصانع فى مدينة كاليه بفرنسا ؛ عندما عاد دى جول إلى فرنسا نهائياً فى أكتوبر سنة ١٩٢١ عين أستاذاً مساعداً للتاريخ بالكلية العسكرية « سان سير » .

تقدم الكابتن شارل دى جول لامتحان المسابقة للالتحاق بالأكاديمية الحربية العليا ، ومع تسليم لجنة الاختبار بأن له شخصية ممتازة ، ألا أنها تأخذ عليه كبرياءه فأرادت اللجنة أعطائه تقدير مقبول ، ولكن الماريشال بيتان تدخل لدى اللجنة قائلا بأن « الكابتن شارل دى جول هو أمل جيله » واتفق على أعطائه تقدير « جيد » . استشاط شارل دى جول غضباً وصاح بأعلى صوته « هذه ليست مدرسة حرب ، أننى لن أدخل هذه المدرسة الا قائداً لها ، وسترون أن كل شيء سيتغير فيها » . قبل شارل دى جول بالاكاديمية وانتظم بالدراسة وأكملها فى يونيه سنة ١٩٢٤ وتخرج منها ثم عين بأركان حرب جيش الراين .

تولى أدولف هتلر السلطة فى المانيا ورأى القومندان شارل دى جول فى هذا التطور .

فى سنة ١٩٢٥ عندما كان المريشال بيتان نائباً لرئيس المجلس الأعلى للحرب أختار الكابتن شارل دى جول للعمل فى مكتبه ، وفى شتاء سنة ١٩٢٧ رقى إلى رتبة « قومندان » .

فى سنة ١٩٢٩ أرسل القومندان شارل دى جول للعمل بهيئة أركان حرب القوات الفرنسية فى الشرق ومركزها بيروت وبقى فى عمله هذا حتى سنة ١٩٣١ .

فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ دعا المارشال فون هند نيورج ، رئيس ألمانيا ، الهر أدولف هتلر لتشكيل حكومة فى ألمانيا ؛ كان ذلك حدثاً تاريخياً . ورغماً عن الاهتمام الذى أبداه الرأى العام الفرنسى لهذا التطور فلم يكن فى فرنسا من يعتقد بأن هتلر سيستمر فى الحكم طويلا وأن أزمة ألمانيا ستعود

إلى الظهور بعد بضعة أشهر وسيذهب هتلر ، ولم يكن أحد من السياسيين الفرنسيين يقدر بأن تسلم هتلر لزمام الحكم فى ألمانيا سينتهى إلى القذف بالمانيا وسط الحديد والنار ومن بعدها أوربا ثم العالم بأكمله .

بدأ هتلر حكمه فى ألمانيا بمهاجمة الشيوعيين واليهود ثم الاشتراكيين الديموقراطيين وتصفية معارضيه إما بالنفى أو بالزج فى معسكرات الاعتقال . ما أن حلت سنة ١٩٣٦ حتى كان هتلر قوة ضخمة تعمل كل دول أوربا حساباً كبيراً لها . كان العالم يستمع إلى خطب هتلر وتهديداته المتواليه . كانت الدول الديموقراطية تستمع إلى تلك الخطب وتلك التهديدات وتعلم بأن خطر الحرب داهم ، ولكنها لا تحرك ساكنا . كانت بعض الصحف الفرنسية تطلق على هتلر لقب زعيم القتلة الفاشست . كان القومندان شارل دى جول قد أصدر فى سنة ١٩٣٤ كتاباً فى ١٣٧ صفحة شرح فيه ما يعتقده من أحتمال قيام حرب عالمية ثانية ونادى بضرورة تكوين جيش مهنى إذ أنه لا فائدة من تكوين جيش من المجندين أو من المتطوعين بعد أن تطورت نظريات الحرب وادخلت الأسلحة الجديدة التى تعتمد على القوة المحركة مثل الدبابات والعربات المصفحة والمدافع المنقولة سريعة الحركة وغيرها من فنون الحرب الحديثة التى أصبحت حروب حركة وليست حروب خنادق . قال دى جول فى كتابه هذا بأن هناك تعارضاً بين أسلوب تكوين الجيوش الميكانيكية الحديثة وأسلوب التجنيد القائم أساساً على الخدمة العسكرية المحددة المدة ، وأن جيشاً مكوناً بهذا الأسلوب لا يمكنه الصمود أمام جيش مكون من جنود محترفين تدربوا على أتقان أستعمال الأسلحة الحديثة على مدى عدة سنوات . لم يأبه الجنرالات الفرنسيون برأى دى جول فى الوقت الذى كان هتلر يطبقه على نطاق واسع وبدأت هيئة أركان حرب الجيش الفرنسى بناء خط دفاع على حدود فرنسا مع ألمانيا عرف فيما بعد بخط « ماجينو » .

فى ١٦ مارس سنة ١٩٣٥ قام الزعيم الفرنسى « بول رينو » بمهاجمة سياسة الحكومة العسكرية فى البرلمان الفرنسى وقال بأن ألمانيا تعد العدة لحرب

مستقبلة وأنها تعدها لأن تكون حرباً خاطفة ، وهى تعد لذلك أيضاً سلاح طيران وأسلحة حديثة وطالب الحكومة بأن تعد قوة عسكرية ضاربة قادرة على التحرك السريع للدفاع والتحرك السريع للهجوم ، وإلا فإنها ستكون حرباً خاسرة من ابتدائها ، لم يكتف بول رينو بذلك بل هاجم الاشتراكيين الفرنسيين مبدياً دهشته من أن زعيمهم « ليون بلوم » يؤيد نظرية إنشاء جيش دفاعى فقط .

كان كلام « بول رينو » صدى لنظرية شارل دى جول ولكن أحداً لم يستمع إليها فقد كانت الأزمة الاقتصادية تأخذ بخناق فرنسا وكان عدد المتعطلين فيها يزداد كل يوم بعد أن أصبحت كثير من مصادر الإنتاج على حافة الافلاس . كانت أضرابات العمال تزيد الحالة تفاقماً وانقسم الشعب الفرنسى إلى معسكرين ، معسكر أقصى اليمين يبدى أعجابه بهتلر وما يحققه من أنجازات فى ألمانيا ومعسكر أقصى اليسار ويداعب خياله قيام ثورة أجتماعية فى فرنسا .

فى ربيع سنة ١٩٣٦ أجريت أنتخابات تشريعية أسفرت عن أغلبية « للجبهة الشعبية » بزعامة ليون بلوم الذى أصبح رئيساً للحكومة . لم يحقق ليون بلوم شيئاً هاماً رغماً عما كانت تعلقه عليه الطبقة العاملة فى فرنسا من آمال عريضة .

هتلر يبدأ سياسة التوسع فى أوربا :

فى ٧ مارس سنة ١٩٣٦ ، وقبل أن يتولى ليون بلوم رئاسة الحكومة فى فرنسا ببضعة أشهر ، قام هتلر باحتلال منطقة الـ « راينلاند » دون أعتبار للاتفاقيات الدولية المعقودة فلم تحرك بريطانيا ولا فرنسا ساكنا . كان سياسيو أوربا يدركون بأن الخطوة التالية لهتلر هى أحتلال النمسا ثم تشيكوسلوفاكيا ثم دانزج ثم غيرها :

شعر هتلر بعد أن أتم أحتلال متطقة الراينلاند ولم يحرك أحد ساكنا بأن أوربا قد أستولى عليها الرعب منه فحارب جنباً إلى جنب موسولينى فى أسبانيا لمعاونة الجنرال فرانكو فى حربه ضد الجمهورية الأسبانية

فى ١٣ مارس سنة ١٩٣٨ دخلت جيوش هتلر النمسا وأحتلتها . أستاءت دول أوربا ولكنها لم تحرك ساكنا . بعد أقل من ستة أشهر حشد هتلر جيوشه على حدود تشيكوسلوفاكيا فوجهت تشيكوسلوفاكيا نداء إلى حلفائها البريطانيين والفرنسيين لمساعدتها إن هوجمت .

فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨ قبل هتلر أن يتفاوض فاجتمع بادوارد دالاديبه رئيس الحكومة الفرنسية وبسير نيفل تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا وبينيتو موسوليني رئيس حكومة إيطاليا فى مدينة ميونيخ وأمضوا اتفاقاً حصلت ألمانيا بموجبه على ربع مساحة تشيكوسلوفاكيا ، وتعهد هتلر بأن لا يطالب بأكثر من ذلك .

أنتظر هتلر بضعة أشهر وقام فى أبريل سنة ١٩٣٩ يطالب بالأراضى التى يسكنها ألمان من بولندا فلم يكن لدى بريطانيا وفرنسا هذه المرة أى شك فى أن الحرب آتية لا مناص منها ، بل أصبحت مسألة توقيت فقط .

فى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩ عزز هتلر علاقته بموسوليني بتوقيع « الميثاق الحديدى » بينهما ، وفى أوائل أغسطس من نفس العام حشد هتلر قواته على الحدود البولندية فقامت مظاهرات فى باريس تنادى « لا نريد أن نموت من أجل دانزج » .

فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٩ قصف الرعد الذى يسبق العاصفة فقد أمضى هتلر ميثاق عدم أعتداء مع ستالين ، وكان توقيع هذا الميثاق تأكيداً فى فى نفس هتلر من أن الديموقراطيات الغربية تنتهى بالازعان له بعد المفاجأة التى نزلت عليهم .

فى ٣١ أغسطس دخلت جيوش هتلر بولندا واحتلتها .

فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ وجهت بريطانيا وفرنسا أنذاراً إلى هتلر تطلب إليه أن يسحب قواته من بولندا وكان أنذاراً شكلياً لأنهما كانا يعلمان بأن هتلر لن يفعل ذلك .

فى مساء ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ أعلنت كل من بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا وبدأت مدافع خط ماجينو تطلق قنابلها صوب القوات الألمانية

ولكنها التزمت خطة الدفاع ، كما التزم هتلر خطة الدفاع لأنه كان مشغولا بتصفية مقاومة الجيش البولندى التى قضى عليها واحتل الجزء الأكبر من بولندا وترك لقوات ستالين أن تتقدم داخل الأراضى البولندية وتحتل ما يقرب من ربع أراضيها . توقفت جيوش ستالين وجيوش هتلر وجهاً لوجه على الأراضى البولندية حتى ٢٢ يونية سنة ١٩٤١ .

فى فرنسا قررت حكومة « ادوارد دالاديه » توزيع النبيذ على الجنود فى خط ماجينو لأن الشتاء جاء قارصاً وأخذ تلاميذ المدارس يجوبون الشوارع يحملون على أكتافهم صناديق تحتوى على أقنعة واقية من الغازات السامة . استمرت الحكومة الفرنسية فى الإعداد للحرب ولكن لم يكن الشعب الفرنسى يبدى اهتماماً لما كان يجرى .

قام « البير ليبران » رئيس الجمهورية الفرنسية بزيارة جبهة القتال وقدموا إليه الكولونيل شارل دى جول فبادره ، ئيس الجمهورية بقوله « انى على علم بآرائك ولكن حتى يتمكن العدو من تطبيقها يبدو لى تماماً بأن الوقت لن يسعفه » .

هجوم هتلر على بلجيكا وفرنسا :

فى صباح يوم ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ هاجمت فرق « البانسر » الألمانية الميكانيكية حدود بلجيكا وشتت شمل القوات الفرنسية وزحفت فى سهول فرنسا الشمالية وفصلت القوات الفرنسية عن القوات البريطانية . أذهل الهجوم الألمانى القواد الفرنسيين وظهر التفوق الساحق لسلاح الطيران الألمانى « لوفت وافه » فأخذت القوات الفرنسية فى التقهقر . لم تقدر الحكومة الفرنسية حتى الآن خطورة الموقف ، بل كانت تعتقد فى إمكان تغيير صورة الموقف كما تغيرت فى الحرب العالمية الأولى بمعركة المارن :

كان هناك قائد مقدر لخطورة ما حدث هو الجنرال « هانت زينجر » ومساعده الجنرال شارل دى جول ولكن الموقف كان قد أفلت من يد القيادة الفرنسية .

فى ٥ يونيه سنة ١٩٤٠ استدعى بول رينو رئيس الحكومة الفرنسية الجنرال شارل دى جول وعينه وكيلا لوزارة الحربية . جاء هذا التعيين متأخراً ولم يكن له من فائدة سوى أن يشارك دى جول فى الانهيار النفسى للقادة الفرنسيين بعد أن تأكد بأن الموقف فى سبيل الانهيار من جميع نواحيـــــه .

هزيمة فرنسا أمام هتلر :

فى ١٧ يونيه سنة ١٩٤٠ استقال بول رينو من رئاسة الحكومة بعد أن ظهر هتلر أمام الوزراء الفرنسيين بمظهر القائد الذى لا يقهر .

فى نفس اليوم أذاع الماريشال فيليب بيتان ، ماريشال فرنسا وبطل موقعة « فردان » فى الحرب العالمية الأولى ، على الشعب الفرنسى بياناً جاء فيه « لقد وجهت الليلة نداءاً إلى الخصم أسأله عما إذا كان على استعداد لكى يتباحث معنا ، بين عسكريين وعسكريين عن وسائل إنهاء الحرب » :

كان معنى هذا البيان أن فرنسا قد جثت على ركبتيها أمام جيوش هتلر :

فى صبيحة يوم ١٧ يونيه توجه دى جول إلى مكتبه فى مدينة بوردو (مقر حكومة بول رينو) وحدد مواعيد مقابلاته بعد الظهر ثم استقل سيارته مع صديقه الجنرال البريطانى سبيرز لتوديعه بالمطار . على باب الطائرة صافح دى جول سبيرز مودعاً وعندما استعدت الطائرة للتحرك قفز دى جول إلى داخلها وأغلق بابها بشدة وأخذت الطائرة طريقها إلى لندن وسط نظرات الدهشة التى استولت على رجال الأمن فى المطار . يصف تشرشل هذه الصورة فيقول : « بأن دى جول قد حمل معه فى هذه الطائرة الصغيرة شرف فرنسا » .

نداء دى جول إلى الشعب الفرنسى يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٤٠ من راديو لندن :

كان النداء الذى وجهه دى جول يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٤٠ من راديو لندن بداية لعهد جديد لفرنسا ، وجعل هذا الخطاب من شخصية دى جول شخصية تاريخية ارتبطت بتاريخ فرنسا والعالم فى القرن العشرين .

جاء بالنـــداء :

« شكل القواد الذين كانوا لعدة سنوات على رأس القوات الفرنسية المسلحة حكومة جديدة ، واعترفت تلك الحكومة بهزيمة قواتنا وأجرت اتصالات مع العدو لإيقاف القتال .

حقيقة أن العدو قد اكتسحنا بقواته المدرعة الأرضية وبقواته الجوية وبسياسته التكتيكية وأجبرنا على التقهقر . إن مدرعات الألمان وطائراتهم وتكتيكهم هو الذى أدهش رؤساءنا حتى قادهم إلى حيث يوجدون الآن .

ولكن هل قيلت الكلمة النهائية ؟ وهل اختفى الأمل ؟ وهل أصبحت الهزيمة نهائية ؟ .

أنا أقول لا . صدقونى ، أنا الذى اتحدث إليكم على علم بالأمور وأقول لكم بأن فرنسا لم تفقد شيئاً . إن نفس الوسائل التى أدت إلى هزيمتنا يمكنها أن تجلب إلينا النصر يوماً ما ، ذلك لأن فرنسا ليست وحيدة وأنها لا تقف بمفردها . إن لفرنسا امبراطورية واسعة تقف من ورائها ويمكنها أن تتضامن مع الامبراطورية البريطانية التى تسيطر على البحار وأن تستمر فى الحرب ، كما أنه يمكن لفرنسا مثل بريطانيا أن تعتمد بغير حدود على الصناعة الضخمة التى تمتلكها الولايات المتحدة الأمريكية . أن مصير هذه الحرب لم يتقرر بانتهاء معركة فرنسا لأن هذه الحرب هى حرب عالمية .

لقد فوجئنا بقوة العدو المدرعة ولكن يمكننا أن ننتصر فى المستقبل بقوة مدرعة أكبر . إن مصير العالم معلق على ذلك .

إننى أنا الجنرال دى جول موجود الآن بلندن ، إننى أدعو كافة الضباط والجنود الفرنسيين الموجودين حالياً بالأراضى البريطانية والذين ينتظر تواجدهم بالأراضى البريطانية أن يتصلوا بى سواء بأسلحتهم أو بدونها ، كما أدعو المهندسين والعمال الفنيين فى صناعة الأسلحة الموجودين بالأراضى البريطانية أو الذين ينتظر تواجدهم بالأراضى البريطانية أن يتصلوا بى أيضاً .

مهما يحدث فإن شعلة المقاومة الفرنسية لا يجب أن تخمد ، وهى لن تخمد . باكر مثل اليوم ، سأتكلم من راديو لندن » .

قيام حركة فرنسا الحرة فى لندن :

اتخذ دى جول لنفسه مقراً مؤقتاً عبارة عن غرفة ودورة مياه فى فندق « روبنز » بلندن ومن هذا المقر بدأ دى جول العمل من أجل تكوين حركة أسماها « حركة فرنسا الحرة » .

فى اليوم التالى لإذاعة دى جول من راديو لندن غادرها جميع أعضاء السفارة الفرنسية وعائلاتهم إلى فيشى ، كما غادرها إلى فيشى أيضاً غالبية الضباط الفرنسيين الذين كانوا موجودين بلندن فى ذلك الوقت . ولكن بدأت أعداد كبيرة من الشبان الفرنسيين والبحارة والجنود الفرنسيين فى عبور بحر المانش بمختلف الوسائل للانضمام إلى حركة فرنسا الحرة وعملت الحكومة البريطانية على نقلهم إلى معسكرات توطئة لتجنيدهم تحت علم فرنسا الحرة الجديد .

بادر دى جول بإرسال برقيات إلى كافة حكام المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار وقوات القوات الفرنسية المسلحة بها . لزم كل هؤلاء الصمت ولكن بعد وقت قصير أجاب الجنرال « كاترو » حاكم الهند الصينية الفرنسية بإعلان انضمامه إلى حركة فرنسا الحرة ، وكان انضمامه أول استجابة لها أهميتها ولم يتلق دى جول أى استجابة من حكام المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا مما سبب له ضيقاً شديداً .

فى ٢٢ يونية سنة ١٩٤٠ وقع الماريشال بيتان اتفاقية هدنة مع المانيا وفى ٢٤ يونيه اتفاقية هدنة مع إيطاليا وأنهى بذلك القتال . تقبلت الأغلبية العظمى للشعب الفرنسى توقيع الهدنتين بالارتياح على مضض ، وأعلن الماريشال بيتان بأنه إنما وقع الهدنة محافظة على شرف فرنسا وكرامتها .

إن كانت فرنسا قد هزمت فعلا أمام جحافل جيوش هتلر فلم يكن ذلك فى حقيقة الأمر نتيجة لانعدام الكفاءة العسكرية للقادة الفرنسيين أو

نتيجة لتقصير منهم أو من الجنود ، بل كانت الهزيمة نتيجة تخريب سياسى مارسته أحزاب اليسار والجبهة الشعبية فى فرنسا ، وانعكس هذا التخريب السياسى على أجهزة الدولة بما فيها جهاز الدفاع الذى عرقلته المناورات السياسية عن إعداد الدولة الإعداد الكافى للدفاع والحرب .

الجنرال دى جول فى لندن :

فى ٣ يوليه سنة ١٩٤٠ وقع حادث خطير . إذ هاجم الأسطول البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط وحدات من الأسطول الفرنسى فى ميناء « مرسى الكبير » بالجزائر ، وكان أول اشتباك بين قوات بريطانيا وقوات حكومة فيشى ، بل أول صدام بين الجنرال دى جول وبين المستر ونستون تشرشل لاسيما بعد أن لجأت بريطانيا إلى الاستيلاء على السفن الحربية الفرنسية التى احتمت بالموانى البريطانية وإطلاق الطوربيد على البارجة الفرنسية « ريشيليو » فى ميناء داكار . كانت حجة المستر تشرشل فى القيام بتلك العمليات — دون استشارة الجنرال دى جول — هى تفادى وقوع وحدات الأسطول الفرنسى بيد الألمان . تحرج مركز الجنرال دى جول أمام الرأى العام الفرنسى وكان عليه أن يتحمل تبعة تصرفات البريطانيين ضد الأسطول الفرنسى فاتهمته حكومة فيشى بأنه ينفذ مخططات البريطانيين ويعمل على أن يحارب الفرنسيون بعضهم البعض . وكان على الجنرال دى جول فى خطاب له يوم ٨ يوليه أن يبرر للفرنسيين عن طريق راديو لندن تصرفات الأسطول البريطانى . وكان نتيجة هذا الهجوم البحرى البريطانى أن قطعت حكومة الماريشال بيتان فى فيشى رسمياً كل علاقة لها مع بريطانيا ، وفى ١١ يوليه تخلى رئيس فرنسا (ليبران) عن منصبه وأصبح الماريشال بيتان رئيساً لفرنسا .

فى ٢٤ يوليه سنة ١٩٤٠ أصدرت حكومة فيشى قراراً بتجريد الجنرال دى جول من جنسيته الفرنسية ومصادرة أملاكه فى فرنسا ، وفى ٣ أغسطس سنة ١٩٤٠ أصدر الماريشال فيليب بيتان حكماً عليه بالإعدام بينما كان

يوجه نداءاته المتكررة إلى الشعب الفرنسى من راديو لندن يدعوه فيها إلى الصمود أمام العدو الألمانى ويهاجم الماريشال بيتان وحكومته .

فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٠ أعلن حاكم مستعمرة تشاد الفرنسية فى أفريقيا انضمامه إلى حركة دى جول وتبعه ببضعة أيام حاكم أفريقيا الاستوائية الفرنسية .

بعد بضعة أسابيع ولما لم تستجب باقى المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا لنداءات دى جول ، بل أظهرت تأييدها لحكومة فيشى أقر الجنرال دى جول بأن فرنسا الحرة لا يمكنها أن تستمر إلا من لندن ولكى تشترك فرنسا اشتراكاً فعلياً فى الحرب فإن عليها أن تفتح الامبراطورية الفرنسية إما بالإقناع وإما بالقوة وإما بوسيلة بين الاقناع والقوة .

فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٠ وبالاتفاق مع السلطات البريطانية ، حضر الجنرال دى جول على ظهر مدمرة حربية إلى ميناء داكار (السنغال) وبعث بمندوبين من قبله إلى السلطات الفرنسية فى المستعمرة يطلب إليهم الانضمام إلى حركة فرنسا الحرة ولكن حكام المستعمرة من العسكريين الفرنسيين القوا القبض على المندوبين وأطلقوا النار على المدمرة ، وما كان يحرسها من سفن حربية بريطانية وفرنسية ، فقرر دى جول الانسحاب بسفنه الحربية . وكان لهذا الانسحاب أثر سيئ فى نفسه لم ينساه طوال حياته بعد ذلك .

كان نجاح أو فشل حركة فرنسا الحرة يتوقف على ما سيحدث فى الفترة ما بين شهر يوليه وشهر ديسمبر سنة ١٩٤٠ ، إذ كانت هذه الفترة هى القول الفصل فى مصيرها .

فى أوائل نوفمبر سنة ١٩٤٠ انضمت الكونجو (برازافيل) وأراضى « أوبانجى » والجابون إلى الحركة ، وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٠ حدد دى جول من راديو لندن أهداف حركة فرنسا الحرة بما يلى : « الاشتراك فى الحرب للاسهام فى الانتصار على العدو ، وأن الانتصار على العدو ليس معناه

طرده من فرنسا فقط ، بل معناه تحطيم المانيا ، يجب أن يكون النصر على العدو — هذا النصر المؤكد لجيش الفرنسيين الأحرار — نصراً فرنسياً » .

كان هتلر — رغبة منه فى أن تدخل أسبانيا الحرب إلى جانبه لكى يطرد البريطانيين من جبل طارق قد انتقل فى قطار مسلح إلى هندايه يوم ٢٣ أكتوبر على الحدود الفرنسية الأسبانية لمقابلة الجنرال فرانكو وإقناعه بما يريد ، وفى طريق عودته اجتمع بالماريشال بيتان يوم ٢٤ أكتوبر ، وكان هتلر يأمل — مساعدة بيير لافال وزير خارجية الماريشال — أن يضم فرنسا إلى جانب المانيا فى حربها ضد بريطانيا .

تبين من الوثائق الألمانية التى وقعت بأيدى الحلفاء بعد الحرب بأن تلك المقابلة التى رتبها لافال ولم تنته إلى إجابة هتلر إلى رغبته قد اغضبته من لافال ووصفه هتلر بأنه « محترف السياسة الديمقراطى الصغير القذر » . منذ ذلك الحين والماريشال بيتان شديد الحذر من تصرفات وزير خارجيته التى تهدف إلى دخول فرنسا الحرب ضد بريطانيا واحتلال المانيا لمستعمرات فرنسا فى شمال أفريقيا . عندما اقترح لافال على بيتان أن ينتقل إلى باريس يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠ لكى يحضر احتفالا بنقل رفات ابن نابليون (ل ايجلون) إلى مقبرة الانفاليد واشتراك قوات فرنسية مع قوات المانية فى هذا الاحتفال إظهاراً للتضامن بينهما بادر ضباط أركان حرب الماريشال بالقاء القبض على لافال . تدخل هتلر للافراج عنه ولكن بيتان رفض عودته إلى وزارة الخارجية وعين مكانه « فلاندان » .

موقف الحكومة البريطانية من الجنرال دى جول وهو فى لندن :

كان موقف الحكومة البريطانية من الجنرال دى جول يتلخص فى أنها تريده ولكنها لا تريده جنرالا سياسياً قوياً ، إذ كان دى جول يريد أن يكون هو الدولة الفرنسية بأكملها فى لندن . لم يكن الجنرال دى جول صبوراً ولكنه فى الوقت نفسه كان يعلم بأنه يجب عليه أن يثبت وجوده بين الحلفاء وأن لا يعير اهتماماً لصدى ما كان يتخذه من تلقاء نفسه من

قرارات دون أن يستشير حلفاءه طالما أن قراراته كان هدفها تأمين شخصية فرنسا المحاربة ثم فرنسا المستقلة بعد النصر . لذلك كان كفاح دى جول وهو فى لندن فى شهوره الأولى على جبهتين ، الجبهة الأولى وهى الجبهة العسكرية وكان ينقصه السلاح والمال والقوات ، والجبهة الثانية وهى الجبهة السياسية وكانت جبهة صامتة ضد حلفائه البريطانيين والأمريكيين لضمان حقوق فرنسا المستقلة بعد الحرب والنصر .

بادر الجنرال دى جول بإنشاء « مجلس الدفاع عن الامبراطورية » ففهم تشرشل بدهائه بأنه إن اعترف بهذه المؤسسة فإن هذا الاعتراف سيؤدى به لا محالة فى المستقبل إلى قبول الجنرال دى جول رئيساً لحكومة فرنسا المؤقتة فضمن قبوله الاعتراف بهذا المجلس تحفظاً ما يلى نصه : « أريد أن يكون معلوماً بأن حكومة جلالة الملك لا تعتبر بأنها قد أبدت رأياً معيناً بالنسبة للاعتبارات الدستورية والقانونية المختلفة فى اعلانها الاعتراف بهذا المجلس » ولكن دى جول لم يأبه بهذا التحفظ ورضى بقرار الحكومة البريطانية . كان ذلك أول اعتراف من جانب الحكومة البريطانية بسلطات دى جول .

قرر دى جول أن يتخذ لنفسه سياسة « المشاغبة » مع حلفائه ، ففى كل مرة تقدم بريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية على اتخاذ قرار يمس السيادة الفرنسية فى أى مكان من العالم ، حتى بالنسبة للأراضى الفرنسية التى تدين بالولاء لحكومة الماريشال بيتان فى فيشى يغضب الجنرال دى جول ويثير المشاكل معهما ويحرر لهما مذكرات الاحتجاج ويهدد بالالتجاء إلى الراديو مما يضطر تشرشل رغماً عنه إلى الإذعان لمطالب دى جول .

كانت أزمة الشرق الأدنى أشد الأزمات وأعنفها بين الجنرال دى جول والحكومة البريطانية فى ربيع سنة ١٩٤١ عندما سمحت حكومة فيشى للألمان باستخدام مطارات سوريا ولبنان وكانا لا يزالان تحت الانتداب

الفرنسى . اضطر البريطانيون بهدف حماية مصر وحماية قواتهم فى أفريقيا إلى التدخل عسكرياً فى سوريا ولبنان . سارع دى جول فطلب إلى البريطانيين إشراك قوات فرنسا الحرة فى المعارك وكانت هذه أول مرة يدفع فيها دى جول بقوات فرنسية من قوات فرنسا الحرة لمحاربة قوات فرنسية وهى القوات الفرنسية التابعة لحكومة فيشى التى كانت تحتل سوريا ولبنان . كان دى جول يرى بأن هذا هو الثمن الذى يجب عليه أن يدفعه للمحافظة على استقلال فرنسا . قبل البريطانيون طلب دى جول بإشراك قوات فرنسا الحرة فى محاربة جيش حكومة فيشى فى سوريا ولبنان . سرعان ما علم دى جول — عن طريق مخابراته — بأن اتفاقاً مع جيش حكومة فيشى فى دمشق وبيروت كان أمراً ممكناً بدون قتال لأن قواد ذلك الجيش ساءهم أن تسمح حكومتهم فى فرنسا (حكومة فيشى) للألمان باستعمال المطارات ، بل أكثر من ذلك أنهم كانوا على استعداد للتفاهم مع الحلفاء والانضمام إلى قوات فرنسا الحرة . كانت سوريا ولبنان ستبقيان فى هذه الحالة تحت سيطرة حركة فرنسا الحرة وتحت سلطان دى جول ، غير أن البريطانيين فضلوا احتلال دمشق وبيروت عسكرياً لأن تشرشل كان لا يحتمل الوجود الفرنسى فى تلك المنطقة الحساسة من الشرق الأوسط . دام القتال لمدة شهرين فى سوريا ولبنان بين قوات الامبراطورية البريطانية وقوات فرنسا الحرة من جانب وبين قوات حكومة فيشى من جانب آخر وأسفر عن ضحايا من الطرفين ومن سكان البلدين .

فى ١٢ يوليه سنة ١٩٤١ وقعت الهدنة بين الطرفين وكانت تنص على احتلال بريطانيا لسوريا ولبنان ، أى إبعاد فرنسا عن البلدين . رفض دى جول رفضاً باتاً أن يقبل نصوص اتفاقية الهدنة وبادر فى ٢٥ و ٢٦ يوليه بالتوجه بالطائرة إلى كل من دمشق وبيروت حيث استقبل فى كل منهما استقبالا حافلا . فهم تشرشل من تصرفات دى جول هذه بأنه حتى بعد أن استولى على سوريا ولبنان عسكرياً فإنه لم ينه الوجود الفرنسى من الشرق الأدنى ولم ينته من مشاكل الجنرال دى جول .

يقول الجنرال دى جول بأنه منذ أزمة سوريا ولبنان هذه أصبح عديم الثقة كلية فى نوايا حلفائه البريطانيين .

عاد دى جول إلى لندن فى أول سبتمبر وتمكن من تسوية موقفه مع تشرشل .

فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤١ أصدر الجنرال دى جول قراراً بتكوين لجنة أسماها « اللجنة الوطنية لفرنسا المحاربة » وشكلها من قوميسيرين للاقتصاد والمالية والمستعمرات والعدل والتعليم والشئون الخارجية والحربية والطيران والعمل والإعلام والبحرية وكانت تلك اللجنة فى واقع الأمر حكومة .
منذ تأليف تلك اللجنة بدا تنظيم الاتصال بالحركات السرية داخل فرنسا وفى كافة انحاء الامبراطورية الفرنسية .

فى تلك الأثناء كانت أحداث الحرب قد تطورت فقد هاجم هتلر روسيا فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٤١ وتقدمت جيوشه فى أراضيها حتى أصبحت على مشارف موسكو ونجح روزفلت فى إشراك الولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب بجانب بريطانيا . كان الجنرال دى جول منكباً على تكوين جيش فرنسا الحرة الجديد ويداوم اتصلاته بأجزاء الامبراطورية التى انضمت إلى حركته ويعمل على أن يعرف حركته لحكومات الدول المتحالفة وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ويسعى إلى أن تعترف به هاتين الدولتين كممثل شرعى لفرنسا بدلا من اعتباره محارباً ليس إلا .

حركة فرنسا الحرة فى أفريقيا :

حدث فى نهاية صيف سنة ١٩٤٠ أن تمكن ضابط فرنسى شاب اسمه « ليكلير » من ضم الكاميرون إلى حركة فرنسا الحرة وأن يكون جبهة فى شمال الكاميرون وعلى حدود تشاد مع ليبيا تساند الحركة ، وكانت تعوزه الأموال والسلاح والذخيرة ، ورغماً عن ذلك فقد قام فى مطلع عام ١٩٤١ بالزحف داخل الأراضى الليبية واشتبك مع حرس نقطة الحدود

الإيطاليين ووصل فى أول فبراير إلى واحة الكفرة وأجبر حاميتها من الإيطاليين على التسليم .

فى ربيع نفس العام استمر « ليكلير » فى زحفه نحو الشمال حتى احتل كافة أراضى إقليم فزان وأصبح على بعد بضع مئات قليلة من الكيلومترات من الساحل ، وكان عليه أن يبطئ من زحفه لأن إقليمى طرابلس وبرقة كانا تحت احتلال قوات المحور . عندما قام الجنرال مونتجومرى بهجوم شامل على جيوش رومل فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وبعد معركة رهيبة دامت ثلاثة أيام بدأت الخطوط الألمانية تنهار واضطر رومل إلى التقهقر . فى تلك الأثناء انتهز « ليكلير » الفرصة وتقدم إلى الشمال واحتل « بير حكيم » وعلى مدى أسبوع حاولت القوات الألمانية استعادة هذا الموقع الذى كان يدافع عنه الجنرال « كونيج » ومعه خمسة آلاف وخمسمائة جندى من قوات فرنسا الحرة تمكن الألمان فى النهاية من استعادته بعد أن أخلاه الجنرال « كونيج » تاركاً وراءه ألف وخمسمائة قتيل . أصبح اسم « بير حكيم » اسم علم فى تاريخ فرنسا الحرة ومعركة بير حكيم معركة تاريخية ضاريـــة .

نزول القوات البريطانية والأمريكية فى شمال أفريقيا وانتقال النزاع على السلطة إلى الجزائر :

فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٢ استمع هواة الراديو إلى رسالة غريبة ترددها كل ساعة إذاعات صادرة عن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وتقول : « سيصل روبير ، سيصل روبير » وتكرر هاتين الكلمتين عدة مرات . كانت هذه الإذاعة بالنسبة لمن يعرفون معناها وسرها أن إنزال القوات البريطانية والأمريكية قد بدأ على ساحل طول شمال أفريقيا . كان هذا الإنزال بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية هو بدء اشتراكها الفعلى فى الحرب فى أوربا ، وكان بالنسبة للبريطانيين عملية منتظرة منذ وقت طويل تهدف إلى ضرب جيش رومل فى ليبيا من الخلف وكانت عملية الإنزال كلها تهدف إلى الاستيلاء على طول ساحل شمال أفريقيا تمهيدا

لغزو أوربا . لكن هذا الإنزال كان ضربة شديدة لمركز الجنرال دى جول أو كما وصفه بعد ذلك فى مذكراته بأنه كان مأساة .

كان تشرشل واعياً لعلاقة حكومته بالجنرال دى جول وما سوف يؤدى إليه حبس النبأ عنه وعدم إشراك قوات فرنسا الحرة فى العملية ولذلك اعتزم إبلاغ ذى جول بالعملية قبل ابتدائها بقليل ولكن روزفلت عارض فى ذلك معارضة شديدة ورأى عدم إبلاغ دى جول بأى نبأ عنها إلا بعد نجاحها ، كما أن الأدميرال ليهى سفير روزفلت لدى حكومة الماريشال بيتان أيد روزفلت فى هذا الرأى .

فى ليلة ٨/٧ نوفمبر نزلت القوات البريطانية والأمريكية فى الدار البيضاء وفى أوران ، وفى الجزائر ، وفى بوجى . قاومتهم قوات حكومة فيشى واشتدت المعارك على مدى يومين حاول دى جول خلالهما استمالة قواد القوات فى مراكش والجزائر إلى جانب الحلفاء . كان دى جول يرى فى هذه العملية الجديدة تكراراً لما حدث فى سوريا ولبنان وأن البريطانيين والأمريكيين يحاولون فى هذه المرة أن يحلوا محل فرنسا فى مستعمراتها ولكنه بوصفه رجلا عسكرياً كان يقدر الأهمية الاستراتيجية لموانى مراكش والجزائر فى العمليات الحربية المستقبلة ضد هتلر فى أوربا .

أجاب الألمان على هذا الغزو فى ١١ نوفمبر بأن زحفت قواتهم فى فرنسا على ما كانت قد تركته من أراضى فرنسا بدون احتلال واحتلته ، وكانت تعرف تلك الأراضى بالمنطقة الحرة فى فرنسا ، وأصبحت القوات الألمانية تحتل الآن فرنسا بأكملها .

حاول الألمان الاستيلاء على الأسطول الفرنسى فى خليج طولون ولكن فريقاً من الضباط توجهوا بسفنهم إلى الميناء وأغرقوها يوم ٢٧ نوفمبر حتى لا تقع بأيدى « العدو » . ثارت ثائرة الرأى العام الفرنسى وأصبحت المانيا من جديد ذلك « العدو اللدود » . (كانت القطع الحربية البحرية التى أغرقت من أحدث القطع البحرية فى العالم وكانت تضم بارجة كبيرة وبارجتين وسبعة طرادات و ٢٩ مدمرة وقوارب قاذفة الطوربيد وست

عشرة غواصة من بين ٧٣ قطعة حربية غرقت بالميناء ، واستغرق إخراجها بعد ذلك من ميناء طولون عشر سنوات) .

سياسة الأمريكيين نحو دى جول :

كان على الأمريكيين — بعد احتلالهم للجزائر — أن يقيموا إدارة فرنسية جديدة فيها وأن يبحثوا عن شخصية فرنسية كبيرة لكى يستندوا إليها فى بقائهم فى الجزائر والمغرب . حاولوا فرض الأميرال « دارلان » والجنرال « جيرو » ، ولكن الأميرال اغتيل يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ فى ظروف غامضة ، اغتاله شاب فى العشرين من عمره يسمى « بونييه دى لا شابل » وقيل بأنه كان على علاقة بـ « هنرى داستييه » الذى تبين بأن له ضلعاً فى المؤامرة الملكية التى كانت تهدف إلى إعادة الكونت دى بارى إلى السلطة على رأس حكومة مؤقتة فى شمال أفريقيا لمناهضة حكومة فيشى وكان يعيش فى ذلك الوقت فى عزلة بالقرب من طنجة ، وهنرى داستييه هذا هو شقيق الجنرال فرانسوا داستييه دى لا فيجيرى الذى بعث به الجنرال دى جول كمندوب عنه إلى الجزائر فى ١٩ ديسمبر لاستطلاع الحالة فيها قبل حضوره إلى الجزائر بنفسه . بقى الجنرال جيرو (كان هذا الجنرال أسيراً بيد الألمان ولكنه تمكن من الهرب والوصول إلى فيشى وبمساعدة الأمريكيين والبريطانيين تمكن من الوصول إلى الجزائر (حاول جيرو أن يشكل حكومة فرنسية بمساعدة الدبلوماسيين الأمريكيين آخذاً فى حسبانه شرعية حكومة الماريشال بيتان فى فيشى لإبعاد حركة فرنسا الحرة فى لندن عن المسرح السياسى والعسكرى ، ولكن الضباط الفرنسيين فى الجزائر قابلوه ببرود وتبين للأمريكيين بأنه لا يوجد ضابط عظيم فرنسى بالجزائر يقبل بأن يكون جيرو قائداً فرنسياً أعلى . أحس دى جول بالخطر الذى ينتظره فأعلن بأن حكومة فيشى هى حكومة غير شرعيه لأنها قبلت التسليم إلى العدو .

كان الجنرال جيرو ضابطاً شجاعاً ولكنه لم يكن سياسياً ، كان لا يثق فى دى جول ولا يحب سيطرته ولا أسلوبه فى مخاطبة الجماهير وكان فوق

كل ذلك شديد الإعجاب بالماريشال بيتان ويأمل أن يتمكن من تقريب الماريشال بيتان وحكومته إلى الحكومة البريطانية ولكن اشتراك الأمريكيين فى النزول إلى شمال أفريقيا مع البريطانيين أدى إلى أن تقرر حكومة الماريشال بيتان قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية .

كان الجنرال دى جول فى لندن يمطر الجنرال جيرو والمستر تشرشل والرئيس روزفلت بالبرقيات والرسائل ليذكرهم بأنه هو السلطة الشرعية الفرنسية وأنه يريد أن يطير إلى الجزائر ليتخذها عاصمة لحركة فرنسا الحرة ولكنه كان يشعر بأن الحكومة الأمريكية تريد الجنرال جيرو وتأيده لأن روزفلت كان يرى فيه جسراً لتفاهم الحلفاء مع الماريشال بيتان وحكومة فيشى إذ لا سبيل إلى تفاهم ما بين الجنرال دى جول والماريشال بيتان . أصبح الجنرال جيرو هذا أكبر منافس لدى جول .

أجتماع روزفلت وتشرشل بالدار البيضاء (يناير سنة ١٩٤٣) ودعوة دى جول إلى حضور الاجتماع :

وصل روزفلت إلى الدار البيضاء يوم ١٤ يناير سنة ١٩٤٣ للاجتماع بتشرشل وبناء على اقتراح تشرشل وافق روزفلت على دعوة دى جول لحضور الاجتماع . ولما كان تشرشل يتوقع أن يرفض دى جول الحضور بسبب الطريقة التى يدعى بها متهما إياه بالتعالى (ونظرا لأن دى جول يعتبر نفسه الممثل الشرعى لفرنسا) فقد طلب تشرشل من إيدن وزير الخارجية أن يقنع دى جول بقبول الدعوة وأن يصل معه إلى حد التهديد بأنه فى حالة رفضه فإن الحكومة البريطانية ستصمم على استبداله فى رئاسة لجنة التحرير الفرنسية فى لندن برئيس آخر . كما أبرق إلى إيدن فى ١٨ يناير برسالة لتسليمها إلى دى جول وجاء بها أن الدعوة موجهة إليه من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ومن رئيس وزراء بريطانيا وأن رفض الدعوة ليس فى مصلحته ولا فى مصلحة الحركة التى يتزعمها . أضاف تشرشل بأنهما فى سبيل اتخاذ قرارات بشأن شمال أفريقيا ويريدان رأيه بل ويمكنهما اتخاذ تلك القرارات فى غيابه وستكون بتأييد من الدولتين . لم يفت تشرشل أن

يقول لدى جول بأنه إن رفض الدعوة فستذهب جهوده فى سبيل التقريب بينه وبين الرئيس روزفلت هباء وستضطر الحكومة البريطانية إلى إعادة النظر فى سياستها نحو حركته إذا استمر هو فى رئاستها » .

بعد هذا التهديد وصل دى جول آلى المغرب فى ٢٢ يناير سنة ١٩٤٣ وحضر اجتماعاً مع تشرشل وروفلت وجيرو للتداول فى شئون شمال أفريقيا : بناء على رغبة الزعيمين الكبيرين قبل دى جول أن يتعاون مع جيرو فى شئون الحكم جنباً إلى جنب ولكن سرعان ما تبين لدى جول بأن عليه أن يبعد جيرو من الميدان سريعاً إذ كان يرى خطراً داهماً على مستقبل فرنسا من هذا الحل .

عاد دى جول إلى لندن لكى يكرس جهوده فى تدعيم مركزه وفى شهر مارس سنة ١٩٤٣ تلقى نبأ كان سبباً فى تأمين مستقبله السياسى ذلك بأن هيئة المقاومة السرية الفرنسية داخل فرنسا قد قررت اختياره — من بين الاثنين المتنافسين — ليكون قائدا للحركة .

لم يعد دى جول إلى الجزائر إلا فى ٣٠ مايو سنة ١٩٤٣ ، وفى ٣ يونيه التالى تم تشكيل « اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى » تحت قيادة الجنرالين دى جول وجيرو . تقرر أن يعين كل منهما ثلاثة أعضاء فى تلك اللجنة ، فعين الجنرال جيرو « موريس كوف دى مورفيل » و « رينيه مايير » لمعاونته وكانا فى قرارة نفسيهما من مؤيدى الجنرال دى جول . كانت مهمة اللجنة تقسيم السلطة بالتساوى بين الجنرالين ودمج العسكريين الفرنسيين فى شمال افريقيا بالعسكريين الفرنسيين القادمين من لندن مع دى جول فى قوات حركة فرنسا الحرة ، وكذا تنسيق العمل بين رجال المقاومة القادمين من داخل فرنسا وتنسيق العمل بين الساسة الفرنسيين المقيمين بالجزائر ، وقد اعتبر تشرشل أن تكوين هذه اللجنة ينهى علاقته الرسمية بدى جول بوصفه رئيساً لفرنسا الحرة المحاربة التى سبق لتشرشل أن اعترف بها فى خطابين متبادلين سنة ١٩٤٠ وفى وثائق تالية .

غير أن تكوين اللجنة لم ينه الخلاف بين الجنرالين إذ أن دى جول

رفض بتاتاً أن يعترف بالجنرال جيرو قائداً أعلى لقوات فرنسا ، وكان جيرو مهتما بأن يحافظ على الجيش الفرنسى فى شمال أفريقيا بعيداً عن نفوذ حركة فرنسا الحرة ، وأدى موقف دى جول هذا فى موضوع القيادة العسكرية إلى إثارة الأمريكيين ضده وإثارة شكوكهم فى نواياه . كان دى جول يهدف إلى أن توافق اللجنة على أن يكون الدفاع الوطنى من اختصاصه وأن تكون له اختصاصات وزير الحربية كما طلب أن يتولى قيادة القوات الفرنسية التى لا تحارب فى الميادين تحت قيادات أخرى ورفض جيرو كلية أن يسلم قيادة القوات الفرنسية وصمم على أن يعين الجنرال جورج (أحد أعضاء اللجنة) قوميسيراً للدفاع الوطنى ، ولما شعر جيرو بأن اللجنة ستقف فى صف دى جول فى هذا الموضوع اعتزم الانسحاب منها وإبلاغ دولتى الاحتلال بأطماع دى جول .

اتخذ روزفلت موقفاً صلباً مع دى جول وأصدر أوامره إلى الجنرال آيزنهاوز بأنه خلال احتلال أمريكا لشمال افريقيا لا تقبل على الإطلاق أن تسيطر على الجيش الفرنسى فيه أية هيئة لا تكون خاضعة لإدارة القائد الأعلى لقوات الحلفاء ، ووصل الحال بالأمريكيين إلى أنهم صمموا على رفض الاعتراف بأية هيئة إدارية مؤقتة إذا ما اعتقدوا بأن دى جول سوف يكون له فيها النفوذ الأعلى الذى سوف يؤثر على مستقبل فرنسا بعـــد الحرب .

تحت ضغط من الوزارة البريطانية اقترح تشرشل على روزفلت الاعتراف باللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى ولكن روزفلت رأى أن لا يكون اعترافاً بل « تعاوناً » ورفض لفظ الاعتراف كلية ، وبعد ذلك قبل الأمريكيون إصدار بيان فى عبارات عامة يؤيدون فيه التنظيم السياسى الذى تم فى شمال إفريقيا .

كانت خطة الجنرال دى جول فى إبعاد الجنرال جيرو تتلخص فى الوصول إلى هدفه على ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى أن يفقد جيرو الغالبية داخل اللجنة وذلك لأن عضوين من الأعضاء الثلاثة الذين عينهم

جيرو قد انتقلا فعلا إلى تأييد دى جول وهما « موريس كوف دى مورفيل » و « جان مونيه » . الخطوة الثانية أن يعمل دى جول على تعيين جيرو قائداً عاماً للقوات الفرنسية وقد تم ذلك فى ٣١ مايو سنة ١٩٤٣ . الخطوة الثالثة تعيينه مفتشاً عاماً لقوات فرنسا الحرة بأسلحتها الثلاثة وقد تم ذلك فى مطلع خريف نفس العام .

لما رفض جيرو هذا التعيين وصممت اللجنة على قرارها استقال جيرو من عضوية اللجنة فى ٨ نوفمبر وبذلك اختفى من المسرح السياسى ثم من المسرح العسكرى وأصبح دى جول الزعيم الوحيد لحركة فرنسا الحرة وامتدت سيطرته على شمال افريقيا .

بعد ذلك أخذت إجزاء الامبراطورية الفرنسية تنضم إلى دى جول الواحدة بعد الأخرى وأخذ جيش فرنسا الحرة يأخذ شكلا جديداً .

الموقف داخل فرنسا :

بينما كان دى جول يعزز مركزه وسلطاته ويتحدث إلى الشعب الفرنسى فى الساعة التاسعة والربع من مساء كل يوم كانت جيوش هتلر تحتل كافة الأراضى الفرنسية منذ شهر نوفمبر سنة ١٩٤٢ . كان الرأى العام الفرنسى يؤيد الماريشال بيتان منذ توقيع الهدنة مع الألمان فى يونية سنة ١٩٤٠ ولكن هذا الرأى العام بدأ يبتعد عن الماريشال منذ أن قام هتلر باحتلال كل فرنسا ويتجه نحو تأييد المقاومة . كان هناك عاملان ساعدا على ابتعاد الرأى العام الفرنسى عن مساندة بيتان ، العامل الأول هو أن بيتان قد استدعى « بيير لافال » فى مطلع ربيع سنة ١٩٤٢ لكى يتولى رئاسة الوزراء وبيير لافال هذا شخصية مكروهة من الشعب الفرنسى لأنه يمثل الخضوع التام للألمان . العامل الثانى أنه فى فبراير سنة ١٩٤٣ قبل بيير لافال طلب هتلر إقامة نظام خدمة اجبارية فى فرنسا وقضى هذا النظام بأنه على كل فرنسى قادر بلغ من العمر ٢١ سنة أن ينتقل إلى ألمانيا للعمل فى مصانعها ، فكان على الشباب الفرنسى أن يختار بين أمرين ، إما السفر للعمل فى المصانع الألمانية وإما الهرب والانضمام إلى فرق المقاومة السرية .

انقسم الشعب الفرنسى إلى فريقين ، الفريق الأول يتكون من فرق المقاومة السرية وهى وإن كانت لا تزال قليلة العدد ولكنها تزداد يوماً بعد آخر وتتلقى تأييداً فى صور مختلفة من غالبية الشعب الفرنسى ، والفريق الآخر وهم الذين يؤيدون الماريشال بيتان ويثقون فيه ولا يعتقدون بأنه يخون فرنسا .

بدأ نشاط المقاومة السرية يتضح ، ففى كل يوم تنسف قطارات محملة بالجنود الألمان ويقتل الجنود الألمان على مفارق الطرق وتتخذ فرق المقاومة من الجبال القريبة أوكاراً لها بينما يزيد الألمان من أساليبهم الرهيبة فى الانتقام ويغطون مبانى باريس بإعلانات مكتوبة باللغتين الألمانية والفرنسية ويدرجون بها أسماء الفرنسيين الذين أعدموا لقيامهم بأعمال تخريبية . اشتد الألمان فى جمع اليهود والشيوعيين والمشتبه بأنهم من رجال المقاومة فى قطارات تنقلهم كل يوم إلى معسكرات الاعتقال الألمانية .

الموقف العسكرى للحلفاء على الجبهات المختلفة :

أخذت نتائج المعارك على الجبهات المختلفة تغير صورة الموقف العسكرى للحلفاء ، فقد أصيب الجيش الألمانى بأكبر هزيمة له فى التاريخ أمام ستالينجراد وأجبرت بطولة الجيش السوفيتى جحافل جيوش هتلر على التقهقر شبرا بعد شبر مما كلف الجيش السوفيتى سبعة عشر مليوناً من القتلى على جبهة طولها ثلاثة آلاف كيلو متراً . تمكنت الجيوش السوفيتية من إجبار قوات هتلر على التقهقر ثم تعقبتها .

فى شمال إفريقيا تعقب الجنرال مونتجومرى القوات الألمانية غرباً حتى طرابلس فى ليبيا وأنزل الحلفاء قواتهم فى جزيرة صقلية .

كان على دى جول الآن أن يحقق هدفين ، أولهما أن يعترف لفرنسا بحق الدولة المحاربة ، وثانيهما أن يتولى السلطة فيها بعد التحرير . بدأ نزاعه مع رؤساء أركان حرب قوات حلفائه حتى يشترك الجنرال « ليكلير » Leclerc على رأس قوات فرنسية فى تحرير تونس ولكى يكون الجنرال جوان وقوات فرنسا الحرة فى إيطاليا على جبهات القتال الرئيسية وأن يتقدم

الجنرال الفرنسي « دى لاتر دى تاسيني » وقواته الفرنسية قوات الحلفاء التى ستنزل على ساحل فرنسا الجنوبى .

فى ميدان البحر الأبيض المتوسط سقطت تونس يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٣ تحت ضغط ثلاثة جيوش متحالفة ، الجيش البريطانى بقيادة الجنرال مونتجومرى القادم من برقة وطرابلس وجيش فرنسا الحرة القادم من فزان بقيادة الجنرال « ليكلير » ، والجيش الأمريكى القادم من الجزائر .

فى ٢٦ يونيه ١٩٤٣ دخل الجنرال دى جول تونس فاستقبله الفرنسيون استقبالا حماسياً بالغاً .

كان دى جول يرى حينئذ أن يبادر الحلفاء بإنزال قواتهم على ساحل فرنسا الجنوبى ولكن الحلفاء كانوا يفضلون أن يكونوا أكثر حذراً وأن يبدأوا بالأرض القريبة منهم ، ففى ١٠ يوليه سنة ١٩٤٣ أنزل البريطانيون والأمريكيون قواتهم فى جزيرة صقلية ثم فى الطرف الجنوبى من شبه الجزيرة الإيطالية ، وفى هذه المرة قبل البريطانيون والأمريكيون إشراك قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال جوان فى عملية غزو إيطاليا وكانت مقاومة الألمان فى هذه العملية بالغة العنف إذ كان هتلر يقدر مدى خطورة فتح جبهة ثانية على أرض أوربا . فى بلدة « كاسينو » الإيطالية (على طريق نابولى — روما) استمرت المعارك الرهيبة عدة أشهر واشتركت فيها القوات الفرنسية بشجاعة ولم تتمكن قوات الحلفاء من الوصول إلى روما لاحتلالها إلا بعد ما يقرب من سنة بذلت الدعاية الألمانية خلالها جهداً كبيراً فى كافة مدن أوربا وصورت قوات الحلفاء على أنها قد توقفت وعجزت عن الحركة تماماً .

كان الشعب الفرنسى فى تلك الأثناء ينتظر كل يوم أنباء نزول الحلفاء على ساحل فرنسا الجنوبى وارتفعت آمالهم عندما حررت قوات الحلفاء بمعاونة قوات المقاومة السرية جزيرة كورسيكا وحضور الجنرال دى جول إلى الجزيرة يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٣ والاستقبال الحماسى الذى أعده شعب الجزيرة له رغماً عن الصراع السياسى الذى كان دائراً بين رجال

المقاومة من الشيوعيين والعسكريين الموالين للجنرال دى جول ورجال التحرير الكوماندوز فى الجزيرة .

نزول قوات الحلفاء على ساحل فرنسا الشمالى :

كان على الحلفاء أن يعبروا بحر المانش ، وهى التجربة العسكرية الرهيبة التى عجز نابليون فى أيامه عن القيام بها فتراجع :

يروى الجنرال دى جول ما تم فى مقابلته التاريخية لتشرشل يوم ٤ يونيه سنة ١٩٤٤ على الصفحات ٢٣٥ و ٢٣٧ من المجلد الثانى لمذكراته بالصورة التالية :

« فى ٢ يونيه تسلمت رسالة عاجلة من تشرشل يطلب إلى بها أن أحضر لمقابلته فوراً وبعث بطائرته الخاصة لتنقلنى من أفريقيا إلى لندن . فى صبيحة يوم ٤ يونيه وصلت إلى مكان قريب من بورتسموث حيث وجدت تشرشل محاطاً ببعض وزرائه وفى مقدمتهم إيدن وبيفن وببعض قواده العسكريين وعلى رأسهم الجنرال إسماى . كان هناك أيضاً الماريشال سمطس الذى كان قد صرح منذ بضعة أشهر بأنه لما كانت فرنسا قد فقدت مكانتها كدولة عظمى فيحسن بها أن تنضم إلى رابطة الشعوب البريطانية وأن صحافة الانجلوساكسون قد نشرت هذا التصريح على نطاق واسع . شرح لى تشرشل الاستعدادات العسكرية الضخمه التى تمت على الشواطىء البريطانية ونوه بكثير من الاغتباط بأن العمليات العسكرية ستبدأ فى مرحلتها الأولى بوسائل بريطانية فى غالبيتها وقال ما نصة « وبوجه خاص فإن الأسطول الملكى هو الذى سيقوم بالدور الرئيسى فى عمليات النقل وحماية القوات » . اعربت لرئيس الوزراء البريطانى باخلاص عن أعجابى بما تم لا سيما وأن بريطانيا العظمى — بعد كل ما تحملته من صعاب وما مر بها من محن فى شجاعة وصبر — وهى الآن نقطة الانطلاق لمهاجمة القارة بكل القوات لانقاذ أوربا وأن هذا هو الدليل الواضح لسياسة الشجاعة التى تمثلها منذ الأيام حالكة السواد ، وأنه مهما تحملت فرنسا من تضحيات أخرى بسبب الأحداث القادمة فأنها ولا شك فخورة بأن تكون الآن بين الصفوف ، وبالرغم من كل شىء ، بجانب حلفائها لتحرير أوربا .

أجاب « دعنا ننظم تعاوننا فى فرنسا ، وعليك أن تتوجه إلى الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك لعرض الموضوع على الرئيس ومن الممكن أن يقبل ما نتفق عليه فنتمكن بعد ذلك من تطبيقه ، على كل حال ستتحدث معه وربما سيخفف من تشدده ويعترف بسلطتك الإدارية بشكل أو بآخر » . أجبت تشرشل « ولماذا تعتقد بأنه على أن أرشح نفسى لروزفلت لكى أتولى السلطة فى فرنسا ، أن حكومة فرنسا موجودة وليس لدى ما أطلبه من الولايات المتحدة الامريكية عن هذا الموضوع — كما هو الموقف بالنسبة لبريطانيا — أنه من المهم لكافة الحلفاء أن ينظموا العلاقات الإدارية الفرنسية والقيادة العسكرية ، أننا قد أقترحنا ذلك منذ تسعة أشهر ، ولما كان نزول القوات سيتم باكر فإننى مقدر لهفتك على الإسراع بتسوية هذا الموضوع » ، « لقد علمت بأنه رغماً عن تحذيراتنا فقد زودت القوات التى تتأهب لغزو الأراضى الفرنسية ، وكذا أجهزة الخدمات ، بأوراق نقد قيل بأنها نقد فرنسى قد طبع خارج فرنسا ، أن حكومة الجمهورية الفرنسية لا تعترف على الإطلاق بهذا النقد وأنه طبقاً لتعليمات القيادة العسكرية الموحدة للحلفاء ستكون لأوراق النقد هذه الصفة الشرعية الإجبارية فى الأراضى الفرنسية ، أننى لا أستبعد غدا أن يعلن الجنرال آيزنهاور بناء على تعليمات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وبالاتفاق معك ، بأنه قد وضع فرنسا تحت سلطته . . . كيف تريد منى أن نتعامل على هذه الأسس . . ؟ وهنا صاح تشرشل « وكيف تريد منا نحن البريطانيين أن نتخذ موقفاً مخالفاً لموقف الولايات المتحدة الامريكية ؟ وبصوت جعلنى أشعر بأن تشرشل أراد أن يثير سامعيه البريطانيين أكثر منى قال « سنحرر أوربا وسنقوم بهذا العمل لأن الأمريكيين يقفون بجانبنا ، وعليك أن تعلم بأنه فى كل مرة يتعين فيها علينا أن نختار بين أوربا وبين الشواطئ البعيدة سنختار الشواطئ البعيدة ، وأنه فى كل مرة يتعين فيها علينا أن نختار بينك وبين روزفلت فإننى سأختار دائماً روزفلت » .

يمضى دى جول فى روايته لتلك المقابلة التاريخية فيقول بأنه بعد هذا التصريح من تشرشل أخذ مستر إيدن يهز رأسه وبدا غير مقتنع بما سمعه ،

أما عن مستر بيفن — وكان وزيراً للعمل ممثلا لحزب العمال فى وزارة تشرشل الائتلافية — فقد تقدم نحوى قائلا بصوت مرتفع لكى يسمعه جميع الحاضرين « لقد قال لك رئيس الوزراء بأنه فى جميع الأحوال سيتخذ جانب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . .أرجوكأن تعلم بأنه قد تكلم عن نفسهوليس باسم الوزارة البريطانية على الاطلاق » .

كان كل شىء قد أعد لكى يتم الغزو فى الفترة ما بين ٣ و ٧ يونيه وترك للجنرال آيزنهاور القائد العام تحديد اليوم والساعة إذ أنه بعد يوم ٧ يونيه لن تسمح أحوال المد والجزر فى بحر المانش بالقيام بعملية العبور ويتعين تأجيل الغزو لمدة تقرب من الشهر .

فى ٥ يونيه سنة ١٩٤٤ رددت الإذاعة البريطانية هذه الكلمات « النحيب الطويل للقيثارة » . أدركت المخابرات الألمانية بأن إنزال القوات على وشك وأن المعركة الكبرى قد بدأت . أبلغت هيئة أركان حرب هتلر ولكن برلين كانت فى شك من صحة هذا الإدراك .

فى فجر يوم ٦ يونيه سنة ١٩٤٤ امتلأ بحر المانش بأكبر اسطول ناقل للجنود والمعدات عرفه العالم حتى يومنا هذا . امتلأت سفن هذا الأسطول بجنود أمريكيين وكنديين وبريطانيين وفرنسيين ، منهم من كان يرتعد من البرد ومنهم من أصيب بالأغماء بسبب العاصفة التى سيطرت على البحر . كانت السفن تتقدم نحو الشاطئ الفرنسى بثبات وبدأت المعركة الرهيبة بانزال قوات المظليين خلف الخطوط الألمانية لمهاجمتها . فى برلين لم يجرأ أحد على إيقاظ هتلر من نومه لأبلاغه النبأ .فقدتالقيادة الألمانية بضع ساعات قليلة ثمينة قد تكون القول الفصل فى مصير المعركة . أستمرت الاشتباكات على الساحل طوال اليوم . كانت خسائر الحلفاء فى الأنفس والعتاد رهيبة ولكن هذه الخسائر كانت منتظرة . أستمرت الزوارق الضخمة تلقى على الساحل دون توقف بأعداد ضخمة من الجنود والسيارات والعربات المصفحة والدبابات والأوناش وورش الإصلاح المتنقلة ومستشفيات الميدان وغيرها . أستمرت تلك العمليات طوال اليوم إلى أن تمكنت قوات

الحلفاء فى اليوم التالى من تثبيت أقدامها على الساحل بإقامة نقط أرتكاز فبدأت القوات الألمانية فى التقهقر .

ظلت المعركة على مدى ستة أيام تتأرجح بين الطرفين المتحاربين ولم يكن الوقت فى صالح القوات الألمانية ، إذ تمكنت طوابير قوات الحلفاء من التوغل إلى داخلية الأراضى الفرنسية فى صفوف القوات الألمانية وكان على السكان الفرنسيين فى المناطق التى حررت أن يقوموا بدورهم فى مقاومة الجيوش الألمانية المتقهقرة والقيام بأعمال التخريب خلف خطوطها .

علم الجنرال دى جول من مصادر معلوماته بأن الحكومة الأمريكية تعتزم إقامة إدارة عسكرية فى المناطق التى ستحررها تدريجياً من فرنسا فلم يقبل دى جول ذلك على الاطلاق كما لم يضيع وقتاً فى مناقشة الأمريكيين بل عمد منذ اليوم الأول لنزول الحلفاء على الشاطئ الفرنسى إلى إنزال رجال من أعوانه بالمظلات على المدن الفرنسية الرئيسية يحملون تفويضاً منه بالاستيلاء على دور المحافظات وضمان أستمرار الإدارة الفرنسية المستقلة . نجحت هذه العمليات فى كل مكان إذ كانت القوات الأمريكية كلما تقدمت فى الأراضى الفرنسية المحررة ودخلت مدينة فرنسية تقابل بهؤلاء الرجال الذين هبطوا بالمظلات وهم يحملون معهم تفويضاً ممضى من الجنرال دى جول بتولى شئون الإدارة الفرنسية للمدينة .

فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٤ وصل الجنرال دى جول إلى أرض فرنسا وكانت قوات الحلفاء قد أعتبرت بأنها قد كسبت المعركة فعلا . بقى على الجنرال دى جول أن يخوض معركة سياسية هامة مع البريطانيين والأمريكيين والشيوعيين وهى تجنب أعتبار فرنسا أرضاً محتلة ، كما كان يعلم جيداً بأن الشيوعيين الفرنسيين فى باريس يعدون أنفسهم سراً للاستيلاء على السلطة فى باريس . كان على الجنرال دى جول أيضاً أن يعمل فوراً على إقناع الجنرال آيزنهاور القائد العام لقوات الغزو بأن يعدل جزءاً من خطة المعركة ويترك الجنرال « ليكلير » الفرنسى للتقدم نحو باريس . تردد الجنرال آيزنهاور لمدة ثمان وأربعين ساعة لما كان يعلمه من ضخامة الخسائر التى قد تلحق بقوات الحلفاء إذا ما هاجمت باريس فى ذلك الوقت

ولكنه وجد بأن المبررات التى عرضها عليه الجنرال دى جول مقبولة لا سيما وأن بعض زعماء المقاومة السرية الفرنسية كانوا قد تسللوا عبر خطوط الألمان والحوا على قيادة الحلفاء مساعدتهم بصفة عاجلة .

فى مساء يوم ٢٢ أغسطس تلقى الجنرال ليكلير أمر الجنرال آيزنهاور بالزحف على باريس بفرقته المدرعة الثانية على أن تقوم القوات الأمريكية بقيادة الجنرال « باتون » بمساندته .

تحرير باريس :

قوبلت قوات الحلفاء بمقاومة عنيفة من القوات الألمانية التى تحصنت فى الخنادق . زحفت قوات الجنرال « ليكلير » ببطىء وثبات خشية أن تقع فى فخ . كان برج إيفل على مرمى البصر ولكنه مع ذلك كان بعيداً . وصلت ثلاث دبابات من قوات الجنرال ليكلير إلى مشارف باريس فى الساعة التاسعة من مساء يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٩٤٤ ، واخترقت شوارع العاصمة حتى وصلت إلى دار البلدية . كان الباريسيون يملأون الشوارع غير مكترثين بطلقات الرصاص التى كانت تنطلق فى كل اتجاه ؛ دقت أجراس كافة الكنائس معلنة تحرير باريس .

كان القائد الألمانى « فون شولتيتس » يتخذ فندق موريس مقراً لقيادته ، كان يسمع هذا الضجيج ويعلم بأن أيامه فى حكم باريس قد أشرفت على النهاية .

فى فجر اليوم التالى (٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٤) كانت قوات الجنرال ليكير قد تدفقت على باريس تعاونها فرق المقاومة السرية التى كانت تهاجم محطات السكك الحديدية ومراكز القيادة الألمانية وبدأت معركة رهيبة فى كل مكان من العاصمة وكانت الدبابات الفرنسية والألمانية تتبادل أطلاق النار فى كثير من الأحيان من على بعد لا يزيد على عشرين متراً .

كان دى جول خلال تلك الساعات الحاسمة يراقب سير القتال من بلدة « رامبوييه » القريبة جداً من باريس . عند الظهر تأكد بأن عملية

تحرير باريس قد تمت بنجاح . بذلك سجل دى جول على صفحات التاريخ بأن باريس قد حررت بواسطة الباريسيين والقوات الفرنسية . دخلت القوات الأمريكية باريس فى نفس اليوم من الناحية الأخرى للمدينة . لم يبق ألا أن يستقل الجنرال دى جول سيارته ويتجه فوراً من رامبوييه إلى باريس ليدخلها بعد غيبة دامت أربع سنوات وسبعين يوماً واتخذ وزارة الحربية مقراً له :

كان الموقف داخل العاصمة منذ منتصف أغسطس غاية فى الخطورة إذ شحت المواد الغذائية وتوقفت وسائل النقل العامة عن العمل واختفى رجال الأمن من الشوارع وأصبحت العاصمة بعد بضعة أيام من الترقب والانتظار تحت سيطرة قوات المقاومة السرية التى كان يسيطر عليها الشيوعيون . كان بمقدور القوات الألمانية ولديها التفوق الساحق على قوات المقاومة أن تقضى عليها قضاءاً مبرماً فى بضع ساعات وذلك بتدمير أوكار المقاومة وتخريب كل مكان يشك فى وجودها به ولكن الحكومة الألمانية فى باريس وعلى رأسها الجنرال فون شولتيتس تذرعت بالصبر ولم تشأ أن تتحمل أمام التاريخ مسئولية تدمير باريس ولحسن حظ الشعب الفرنسى وحظ الحضارة الأوربية والثقافة الفرنسية أن وصلت قوات الحلفاء لانقاذ باريس فى الوقت المناسب وإلا كان من المحتمل أن يكون نصيبها على يد قوات الاحتلال الألمانى مثل نصيب فرسوفيا من الدمار والخراب ولكن القائد الألمانى فون شولتيتس رأى بأن لا فائدة من المقاومة داخل المدينة إلا بتدميرها فقبل التسليم إلى الجنرال « ليكلير » وأعطى أمراً لكافة رجال القوات الألمانية داخل العاصمة بإيقاف أطلاق النار وتسليم أنفسهم وسلاحهم كأسرى حرب .

كان دى جول يعلم بأن شرعية توليه السلطة يجب أن تستمد من الشعب الفرنسى وأن الشعب الفرنسى هو الذى يجب أن يقرر إما أن يقبل « فرنسا الحرة » أو يرفضها فأعلن بأنه سيتوجه إلى قبر الجندى المجهول فى باريس (قوس النصر بميدان ليتوال) فى اليوم التالى (٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٤)

فأخذت جموع الباريسيين تزحف نحو الميدان وشارع الشانزليزيه منذ ساعات الليل لتحية الجنرال دى جول بعد ظهر اليوم التالى .

فى الساعة الثالثة بعد ظهر ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٤ توجه الجنرال دى جول إلى ميدان « ليتوال » حيث يوجد النصب التذكارى لضحايا الحرب من الفرنسيين ووقف محوطاً بأعضاء المجلس الوطنى للمقاومة وبدأ مسيره فى شارع الشانزليزيه نحو ميدان الكونكورد وسرعان ما تبدد كل شك فى قبول الشعب الفرنسى لزعامته . إذ توافدت على الطريق أعداد هائلة من أفراد الشعب الفرنسى يفوق كل ما كان منتظراً يهتفون له ويحيونه وكانت تلك التحية هى بيعة الشعب الفرنسى له . لم يجد دى جول ما يصف به تدفق تلك الجماهير فى ذلك اليوم ألا أنه كان كتدفق أمواج البحر ، يضيف دى جول فى مذكراته « كان من الممكن أن تنفجر الغام بثها العدو أو أن تمر طائراته فتلقى بقنابلها على تلك الجماهير الغفيرة أو أن تقذفها برصاص الرشاشات من الجو معا كان قد يؤدى إلى حصد تلك الجماهير والقضاء عليها أو إشاعة الذعر بينها ، ولكنى كنت واثقاً فى تلك الأمسية من قدر فرنسا » .

بعد هذا اللقاء التاريخى بين الجنرال دى جول وشعب باريس لم يصبح هناك أدنى شك فى أن الشعب الفرنسى قد قبل دى جول رئيساً مؤقتاً لجمهورية جديدة فى فرنسا .

الجنرال دى جول فى الحكم :

عندما تولى دى جول السلطة بعد التحرير كان قد تكون حزب من الذين خرجوا بسلاحهم من صفوف المقاومة السرية وسموا أنفسهم « حزب الذين ضربوا بالرصاص » ، وقد أتسع نفوذهم وسلطانهم ونسبوا إلى أنفسهم أنهم أصحاب ثورتين ، ثورة ضد العدو الألمانى وثورة الصراع الطبقى ، وكانت لدى هذا الحزب كل الفرص ليكون أكبر سلطة فى فى فرنسا بسبب سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التى سادت فرنسا

خلال سنوات الاحتلال فكان على دى جول أن يعمل سريعاً لصد هذا التيار الشيوعى . كانت طبقة البرجوازية الفرنسية تتعاطف مع نظام الماريشال بيتان الذى أنتهى ومع علم تلك الطبقة بأن دى جول هو السد المنيع فى فرنسا ضد الشيوعية فقد كانت تخشاه لاعتقادها بأنه سوف يلجأ إلى أستعمال العنف ووسائل الانتقام وإجراءات التطهير والثورة الاقتصادية .

لم يكن دى جول يريد أن يصبح رئيساً كلاسيكياً لفرنسا يكتفى بأن يلبس الجاكت ويرأس الحفلات ويقص الشرائط لأفتتاح المؤسسات ولذلك فقد حرص على أن يظهر أمام الشعب على الدوام بسترته العسكرية تأكيداً بأنه لا يزال رئيساً عسكرياً . كان لا يبتسم عندما يصافح أحداً وكان يركز عينيه على شىء أو على شخص خلف محدثه كما لو كان ينظر إلى هذا الشىء أو إلى هذا الشخص . كان يحدث نفس الشىء عندما يلقى خطاباً ، كان يوجه صوته كما كان يخطب فى أشباح ولا وجود لجماهير تستمع إليه . كان يقف مشدود القامة رافعاً كلتا يديه إلى أعلى كما لو كان يعبر عن عناد قوى . كانت جماهير الفرنسيين عندما تنصت إليه وهو يخطب يصيبها الضيق فى كثير من الأحيان ولكن غالبيتها كان يسودها الاعتقاد بأن أبطال التاريخ هم دائماً أناس ليسوا كسائر الناس . فجأة وجد دى جول نفسه فى عزله هو بحاجة إليها لكى يعود فيفرض سلطانه .

فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٤ أدخل دى جول تعديلا على تشكيل الحكومة المؤقتة التى يرأسها فأصبحت مكونة من أثنين من الشيوعيين وثلاثة من الاشتراكيين وثلاثة من الجمهوريين الشعبيين وأربعة من الراديكاليين .

لم ير دى جول بأن الوقت قد حان لإجراء انتخابات عامة فعين مجلساً أستشارياً مكوناً من ٢٤٨ عضوا احتفظ فيه بـ ١٤٨ مقعداً لممثلى قوات المقاومة داخل فرنسا وافتتح المجلس فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ .

بدأ دى جول حكمه بمواجهة مشاكل ما بعد الحرب الخطيرة ، مشاكل اجتماعية واقتصادية ومالية لا حصر لها وتخريب وتدمير ليس له حدود .

كانت سنة ١٩٤٤ سنة قاسية على الشعب الفرنسى فقد عمد طيران الحلفاء خلال فصل الربيع إلى قصف الطرق والكبارى وخطوط السكك الحديدية ومحطاتها ومصانع الأسلحة قصفاً مركزاً ومستديماً تمهيداً لغزو فرنسا ، كما قامت قوات المقاومة داخل فرنسا بنصيبها الوافر فى عرقلة المجهود الحربى الألمانى . عندما نزلت قوات الحلفاء على ساحل نورماندى فى شمال فرنسا وتوغلت فى الأراضى الفرنسية فى النصف الثانى من العام لجأ الألمان فى تقهقرهم إلى نسف وتخريب وتدمير كل شىء من ورائهم . لم يبق من خطوط السكك الحديدية التى كانت موجودة بفرنسا سنة ١٩٣٩ إلا نصفها فى نهاية سنة ١٩٤٤ وأصبحت غالبية موانى البلاد فى نهاية العام إما لا تزال فى قبضة الألمان وإما غير صالحة للاستعمال ، كما أصبح ثمن كافة مساكن الشعب الفرنسى غير صالحة للسكنى . حدث كل هذا فى بلد كان الإنتاج الاقتصادى فيه متوقفاً عن الارتفاع منذ سنة ١٩٣٠ حتى أندلاع الحرب . معنى كل ذلك أن الجنرال دى جول يحكم بلداً معباً بالمشاكل المستعصية ويواجه متاعب لا حصر لها ، فى كلمات قليلة كان الشعب الفرنسى على شفا مواجهة الجوع والفاقه .

فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٤ أعترفت الدول العظمى بحكومة الجنرال دى جول على أنها الحكومة المؤقتة لفرنسا وتعهدت بأن تعطى فرنسا مقعداً دائماً فى مجلس الأمن التابع للمنظمة الدولية المزمع انشاؤها طبقاً لما جاء بميثاق الاطلنطى الموقع فى سنة ١٩٤١ .

فى ١٠ نوفبر سنة ١٩٤٤ وصل تشرشل وانتونى إيدن إلى باريس وفى نفس اليوم التالى أحتفلت فرنسا بعيد الهدنة للحرب العالمية الأولى وذلك لأول مرة بعد أستعادتها لحريتها . أستقبل الباريسيون تشرشل وكان يجلس بجوار دى جول أستقبالا حماسيا منقطع النظير . كان تشرشل — رغم كل شىء — يمثل للشعب الفرنسى شجاعة بريطانيا وعودة عهد الوفاق بين بريطانيا وفرنسا وأطلق الباريسيون على تشرشل « الأسد العجوز تشرشل » كان تشرشل قد أعلن قبل حضوره إلى باريس ببضعة أيام فى مجلس العموم

البريطانى « بأن فرنسا ستستعيد دورها الشرعى والتاريخى الذى ينتظرها على المسرح الدولى » .

فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٤ وجه دى جول دعوة إلى الرئيس روزفلت لزيارة باريس ولكن الرئيس روزفلت لم يكلف نفسه حتى عناء الرد على الدعوة . أهدى الجنرال دى جول وساماً فرنسياً رفيعاً إلى الجنرال آيزنهاور وكان يأمل أن يؤدى ذلك إلى تصفية الجو بين البلدين ولكن المستقبل كان يخبأ مصاعب أخرى كبيرة فى علاقات البلدين . (كان الرئيس روزفلت قد رفض مدة طويلة أن يعترف بمركز دى جول وظل محافظاً على علاقات ودية مع حكومة الماريشال بيتان فى فيشى حتى نهاية الحرب فى فرنسا تقريباً) .

فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٤ وصل الجنرال دى جول إلى موسكو عاصمة الدولة التى كان شعبها خلال سنوات الحرب « شعباً عزيزاً قوياً » ، وفى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤ وقع أتفاقاً مع الروس وافق دى جول بمقتضاه على الاعتراف بخط الحدود « أودر — نيس » ولكنه رفض الاعتراف بشرعية « لجنة لوبلين» التى ستكون نواة لحكومة بولندية ذات أغلبية شيوعية ، كما رفض تكوين كتلة سياسية واحدة من بريطانيا وفرنسا وروسيا . لما كانت المفاوضات التى أرادها دى جول فى زيارته الرسمية هذه تهدف بالدرجة الأولى إلى الاتفاق على مستقبل المانيا فقد حاول دى جول أن يقنع ستالين بوجهة نظره عن مستقبل ألمانيا كما يلى : تقسيم ألمانيا : أشراف دولى على حوض نهر الرور : التعويضات : تخطيط حدود جديدة لألمانيا المقسمة . لم تلق تلك المقترحات لدى الروس سوى أستجابة مسكنة ولم يحصل دى جول على ما كان يأمله من أن يجد فى ستالين سندا لمناهضة مخاطر تسلط الجبهة الانجلوساكسونيه على أوربا والاعتراف به طرفاً فى تقرير مصير ألمانيا .

عودة الجيش الألمانى إلى الهجوم :

بينما أعتقد الفرنسيون بأن الحرب قد أنتهت عادت القوات الألمانية فى الأيام الأولى من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٤ إلى الهجوم على طول جبهة

الأردين شعر آيزنهاور بهذا التهديد الموجه إلى قواته إذ لم يكن تحت امرته على هذه الجبهة التى تمتد من الاردين حتى ستراسبورج سوى فرق يستولى عليها التعب بعد أن نزلت على الساحل فى نورماندى . فى نهاية شهر ديسمبر أمر آيزنهاور باخلاء الألزاس وترك ستراسبورج . كان دى جول يرى بأنه مع تقديره للظروف العسكرية التى أجبرت آيزنهاور على أتخاذ هذا القرار فإنه بوصفه رئيساً مؤقتاً للدولة الفرنسية يقدر معنى دخول الجنرال « ليكلير » ستراسبورج يوم ٢٥ نوفبر سنة ١٩٤٤ ثم الانسحاب منها وإن إخلاء الألزاس معناه القضاء على المدنيين الذين أظهروا عداء هم للألمان بعد تحريرهم ، وإن حدث ذلك فسوف يكون له أثر سيء فى كل فرنسا ولم يتردد دى جول فى إعطاء الأمر إلى الجنرال الفرنسى « دى لاتردى تاسينى » قائد الجيش الأول الفرنسى بالدفاع عن ستراسبورج مهما كان الثمن . استشاطت قيادة الحلفاء غضباً واتهمت دى جول بأنه يخاطر بعناده بالإطاحه بكل خطة البريطانيين والأمريكيين . كاد هذا الخلاف يؤدى إلى فصم التعاون بين دى جول وقيادة الحلفاء . فجأة عدل آيزنهاور من خطته وقال « لست متأكداً عما إذا كان دى جول على حق ولكن طالما أصبحنا فى هذا الوضع فليس لنا خيار الآن ، إذا ما نجحت العملية فسيكون هذا القرار دليلا على أنه جنرال عظيم » . قامت قوات الحلفاء بهجوم مضاد على القوات الألمانية التى صمدت ولكنها بدأت فى التقهقر . فى ٩ فبراير سنة ١٩٤٥ أنتهت معركة الألزاس وقضى على آخر هجوم كبير للجيش الألمانى . أصبح الجيش الفرنسى الآن يحتل أماكن عدة » .

الجنرال دى جول أمام الجبهة الداخلية :

كان دى جول قد بدأ فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٤ فى إصدار قرارات التأميم وأتم خلال سنة ١٩٤٥ أكبر وأهم تحول وتغيير فى تاريخ الاقتصاد الفرنسى الأمر الذى أغضب طبقة البرجوازية ، كما فقد تأييد وعطف جانب له وزنه من الرأى العام بسبب إجراءات التطهير . أرادت منظمات المقاومة وأحزاب اليسار أن تأخذ العدالة مجراها بمعاقبة الذين تعاونوا مع الذى أحتل البلاد لمدة أربع سنوات بل كان منهم من ينادى بأن أجراءات

التطهير التى أتخذها دى جول لم تكن كافية بسبب عدم شدتها وعدم شمولها ، قيل بأن تلك الاجراءات قد شملت عدداً يتراوح ما بين ٤٠ و ١٣٠ ألفاً من بينهم الكثيرون الذين أعدموا أو أختفوا أو جردوا من ممتلكاتهم : حوكم الماريشال فيليب بيتان فى شهر يوليه سنة ١٩٤٥ وكانت محاكمته مثار غضب وقلق فريق كبير من الرأى العام بسبب الضغوط الكبيرة التى كانت تمارسها أحزاب اليسار على الجنرال دى جول فى تلك المحاكمة .

كان على دى جول أن يرسى دعائم مستقبل المؤسسات الدستورية فى الجمهورية الجديدة ، ففى يونيه سنة ١٩٤٥ أثار فى مؤتمر صحفى ثلاثة احتمالات ، الاحتمال الأول أحترام دستور سنة ١٨٧٥ والاحتمال الثانى أنتخاب مجلس تأسيسى لوضع دستور جديد والاحتمال الثالث إجراء استفتاء شعبى مباشر على نصوص دستور جديد يوضع بواسطة خبراء قانونيين . كان واضحاً أن دى جول يحبذ الاحتمال الأخير ولكن الأحزاب الثلاثة الكبرى أعلنت تأييدها للاحتمال الثانى (الأحزاب الثلاثة الكبرى فى ذلك الوقت كانت الحزب الشيوعى وحزب S.F.I.O. أى القسم الفرنسى لحركة العمل الدولية Section Francaise de I'Internationale Ouvriére وكان قد أنشأ سنة ١٩٠٥ ويعبر عن نفسه بالحزب الاشتراكى ، ثم حزب M. R. P., أى الحركة الجمهورية الشعبية ، وكان قد تكون سنة ١٩٤٤ ويضم الديموقراطيين المسيحيين).هذا وقد أعلن الراديكاليون والمعتدلون تأييدهم للاحتمال الأول وضرورة أحترام نصوص دستور سنة ١٨٧٥ .

فى شهر يوليه سنة ١٩٤٥ أجرى دى جول أستفتاء للشعب الفرنسى عن مستقبل المؤسسات الدستورية فكانت النتيجة مؤيده لما كان يراه فى مشروعه المقدم إلى الشعب إذ حصل على تأييد ٧٣٪ من الذين أعطوا أصواتهم بأن يكون المجلس الذى سينتخب مجلساً تأسيسياً لوضع دستور جديد للجمهورية الجديدة الرابعة كما حصل على ٥٠ ٪ من الذين أدلوا بأصواتهم بالموافقة على تنظيم السلطة العليا كما أقتراحها دى جول :

أجريت أنتخابات المجلس التأسيسى الجديد فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ وكانت نصراً ضخماً لدى جول غير أن الحزب الشيوعى خرج منها أكبر الأحزاب السياسية فى فرنسا إذ حصل على خمسة ملايين صوتاً . وطبقاً لما نص عليه الاستفتاء بأن المجلس التأسيسى الجديد هو الذى سيعين رئيس الجمهورية فقد قدم دى جول فى ٦ نوفبر سنة ١٩٤٥ أستقالته إلى المجلس الجديد من منصب رئيس الحكومة المؤقت وترك للمجلس حرية أختيار الرئيس الجديد وأمام خلافات الاحزاب أعلن بأنه ليس مرشحاً لكى ينتخب رئيساً للجمهورية ، ومع ذلك فقد كانت نتيجة الاقتراع لأول مرة على اسم رئيس الجمهورية الجديد حصول الجنرال دى جول على الأغلبية الإجماعية بـ ٥٥٥ صوتاً وبذلك أصبح الجنرال دى جول رئيساً منتخباً للجمهورية .

دى جول والحزب الشيوعى :

كان للحزب الشيوعى فى المجلس الجديد مائة وخمسين مقعداً وكان يرى بأن بيده مفتاح الموقف السياسى . كان الشيوعيون لا يعترضون على شخصية دى جول ولكنهم يصممون على تحديد سلطاته ولا يوافقون على تحديد سلطات المجلس . كان الحزب الشيوعى يريد تكوين حكومة من أحزاب اليسار ، إلا أنه لا يستبعد إمكان الاتفاق على تشكيل حكومة من الأحزاب الثلاثة الرئيسية (الحزب الشيوعى — الحزب الاشتراكى — وحزب الحركة الجمهورية الشعبية) برئاسة الجنرال دى جول بشرط تعديل موازين القوى ولكن هذا الاحتمال لم ينل قبولا لدى الحزبين الأخرين ولا من الجنرال دى جول .

طالب الحزب الشيوعى بوزارات الخارجية والداخلية والدفاع وصمم عليها وأمام المشاكل التى أثارها الحزب الشيوعى أتخذ دى جول قراراً خطيراً بالاستقالة من منصب رئيس الجمهورية الذى أنتخبه منذ ثلاثة أيام فقط ولجأ إلى الراديو ليشرح أسباب أستقالته للشعب الفرنسى وقال « يمكن أشراك الشيوعيين على نطاق واسع فى مشروعات التنمية الاقتصادية

والاجتماعية للحكومة ولكن لا يمكن أن يتولوا المراكز الأساسية لسياسة فرنسا الخارجية وهى الدبلوماسية التى تعبر عن هذه السياسة والجيش الذى يؤيد هذه السياسة والبوليس الذى يحافظ عليها » قامت مظاهرات فى أنحاء فرنسا تؤيد دى جول وترفض قبول أستقالته . لم يقبل المجلس التأسيسى أستقالة دى جول ، وفى ٢١ نوفمبر شكل وزارة برئاسته لم يحصل فيها الشيوعيون على الوزارات الثلاث التى يطالبون بها ، ولكن سكرتير عام الحزب الشيوعى « موريس توريز » أصبح فيها وزيراً للدولة وتولى أحد أعضاء الحزب وزارة التسليح كما تولى ثلاثة آخرون منهم مناصب وزارية أخرى منها منصب نائب رئيس مجلس وزراء ، وفى ٢٣ نوفمبر حصل دى جول على ثقة اجماعيه بحكومته الجديدة من المجلس .

بدفعة من الاجراءات التى اتخذها دى جول منذ ديسمبر سنة ١٩٤٤ فى قوة وحزم أنصرف كل فرنسى وفرنسية إلى العمل المنتج وكانت معجزة هذا العمل المتواصل أن وصل إنتاج الفحم فى أبريل سنة ١٩٤٥ إلى مستوى إنتاج سنة ١٩٣٨ وتضاعف إنتاج الصلب خمس مرات ووصل سير القطارات السكك الحديدية فى مطلع عام ١٩٤٦ إلى مستوى ما قبل الحرب وكانت دفعة فى الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى لم تصل إليها أى بلد أوربى ، بعد الحرب ، ورغماً عن ذلك فقد ظلت مشاكل متخلفة عن الحرب تواجه دى جول وتتطلب الحل السريع .

بين الحلم والحقيقة — علاقة الجنرال دى جول بحلفائه فى المعركة :

أصيب دى جول بخيبة أمل كبيرة ، إذ أجتمع روزفلت وتشرشل وستالين فى يالتا (من ٣ إلى ١٠ فبراير سنة ١٩٤٥) لتقرير مصير أوربا المحررة ولم تدع فرنسا للاشتراك فى الاجتماع . رغماً عن ذلك فقد تقرر فى هذا الاجتماع أن تحصل فرنسا على منقطة تحتلها فى ألمانيا وعلى مقعد فى لجنة الرقابة التى عهد إليها بالإشراف المؤقت على إدارة شئون ألمانيا . يرجع الفضل فى ذلك إلى موقف بريطانيا إذ لم يبد ستالين — حليف دى جول الجديد — أى أهتمام بمطالب فرنسا .

كانت عدم دعوة فرنسا للاشتراك فى مؤتمر يالتا إشارة إلى ما كان يخططه الحلفاء الثلاثة لحليفتهم الرابعة . كان هدف دى جول هو أن تستعيد فرنسا مكانتها بين الدول الكبرى ، أما بالنسبة للانجلوساكسون فكان المهم هو وضع الأسس لتوازن دولى جديد ، ولذلك فقد كان الصدام أمراً لا مفر منه لا سيما وأن موضوع سوريا ولبنان كان لا يزال ماثلا فى ذهن دى جول .

محاولة هملر أستمالة دى جول لكى يتفق مع زعماء المانيا الجدد :

يقول دى جول على صفحة ١٨٧ من المجلد الثالث من مذكراته بأنه عندما أستولى اليأس على أعوان هتلر وتبين لهم بأن الحلفاء قد أقتربوا من النصر النهائى فى شهر ابريل سنة ١٩٤٥ تلقى كتاباً من هملر تيدو فيه الحيلة والخديعة المخبأتين تحت الضيق والشدة ، جاء بهذا الكتاب ما نصه : « فهم كل منا : . . واتفقنا . . على أنك قدكسبت الجولة ، إن المرء عندما يعلم ياجنرال دى جول كيف بدأت هذا الصراع يجب عليه أن يحنى رأسه لك ويخفض قبعته كثيراً . . . ولكنك ماذا ستفعل الآن . . . هل ستلقى بنفسك إلى الانجلوساكسون . . . أنهم سيعاملونك معاملة التابع وسيفقدونك كرامتك . . . هل ستتحالف مع السوفييت . . . ؟ أنهم سيخضعون فرنساً لسلطانهم وسيقومون بتصفيتك . . . الحقيقة هى أن الطريق الوحيد أمامك الآن لتقود شعبك إلى العظمة والاستقلال هو التفاهم مع ألمانيا المهزومة . . . إنى أدعوك لاعلان ذلك فوراً . . . أتصل فوراً وبدون إبطاء بالرجال الذين لا يزالون يمسكون بزمام السلطة فى الرايخ الألمانى ويعتزمون السير ببلادهم فى أتجاه جديد . . . أنهم على أستعداد . . . وأنهم يطلبون منك ذلك . . . أنك إن تغلبت على شعورك بالرغبة فى الانتقام وإن أنتهزت الفرصة التى يقدمها لك التاريخ اليوم فأنك ستصبح أعظم الرجال فى كل العصور . . » . يقول الجنرال دى جول تعليقاً على رسالة هملر ما يلى نصه : « إذا ما نحينا جانبا المداهنة والتملق اللذين حلا بهما هملر رسالته بالنسبة لشخصى وهو يبعث بها من على حافة قبره فإن هناك ولا شك حقيقة فيما ذهب إليه من تحليل : . . ولكن هملر لم يتلق منى أى رد على

الرسالة . . . إذ لم يكن لديه ما يقدمه . . بعد أن عزله هتلر وولى الإميرال دونتز خليفة له » .

فى ٨ مايو سنة ١٩٤٥ أحتفلت فرنسا بيوم النصر إذ أستسلمت ألمانيا ومات هتلر ودخلت قوات الحلفاء ألمانيا التى كانت قد خربت تماماً .

فى أغسطس سنة ١٩٤٥ توجه الجنرال دى جول إلى واشنجتون ليشرح وجهة نظره بالنسبة لمستقبل ألمانيا وهى : تقسيم ألمانيا — إنشاء دولة صغيرة عازلة فى حوض الراين ، كان الرئيس ترومان يقدر بأن وجهة النظر هذه لا فائدة منها ولذلك فلم يعر رأى دى جول أهتماماً ، غير أن دى جول لم يفقد عزيمته وعمل على فرض نفسه وآرائه على حلفائه فاضطر الحلفاء الثلاثة شيئاً فشيئاً إلى أستشارته حتى أصبحت فرنسا الدولة الكبرى الرابعة واتخذت مكانها بهذه الصفة فى مفاوضات تسليم اليابان .

كان على دى جول أن يواجه التيار التحررى فى أنحاء الامبراطورية الفرنسية . كان يأمل فى أن يتمكن من المحافظة على الامبراطورية تحت اسم جديد هو « الاتحاد الفرنسى » لكى يتفادى المطامع الأجنبية ، ولكن التيار التحررى عبر أراضى الامبراطورية قد أزداد فبادر الجنرال دى جول بأن وعد بإجراء تعديلات ، أستقبل سلطان مراكش وباى تونس وأفهمهما بأنه يمكن أستبدال نظام الحماية وإقامة وحدة ولكن الأحداث توالت بسرعة فقامت فى ٨ مايو فى المغرب أضطرابات قوبلت من سلطات الاحتلال الفرنسية بكل عنف . فى الهند الصينية طالب الفييت مين بالاستقلال ولكن الجنرال دى جول أعلن تمسكه بمبدأ سيادة فرنسا فى الوقت الذى قبل فيه أن يدرس ما يمكن عمله لإقامة نظام جديد . قابل الجنرال « ليكلير » الزعيم الفيتنامى هوشى منه وفى الوقت نفسه بعث دى جول بتعزيزات مسلحة لتأخذ مكانها فى هانوى وسايجون ولم يكن أحد يفكر فى ذلك الوقت فى إثارة حرب ما .

فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ بدأت اللجنة التى عهد إليها المجلس التأسيسى

بوضع الدستور الجديد عملها وكانت أولى قراراتها الموافقة على أن يكون للجمهورية مجلس نيابى واحد ويكون له الحق فى انتخاب رئيس الجمهورية ، وتحديد سلطات رئيس الجمهورية ، وكان معنى هذا فى نظر دى جول بأن اتجاه اللجنة يسير فى الطريق الذى يؤدى إلى إبعاده عن الحكم .

فى أول يناير سنة ١٩٤٦ ورداً على مناورات الاشتراكيين فى المجلس لعرقلة الموافقة على الميزانية المقدمة من الحكومة وجه دى جول خطاباً إلى أعضاء المجلس يلفت فيه أنظارهم إلى ضرورة أن يأخذوا فى الاعتبار « الضرورات الملحة للسلطة وللكرامة ولمسئولية الحكومة » . كان هذا الكلام يطوى إنذاراً للنواب بضرورة معرفتهم لواجباتهم فى الظروف التى تمر بها البلاد . لما لم يستجب النواب لنداء الجنرال دى جول قرر أن يعتزل السلطة اعتقاداً منه أنه بإثارة هذه الأزمة الخطيرة سيهب الشعب الفرنسى يطالب بعودته ولكنه كان متفائلا أكثر مما يجب عن تعلق الشعب الفرنسى بشخصه .

فى ٤ يناير سنة ١٩٤٦ غادر دى جول باريس متوجهاً إلى مدينة آنتيب على ساحل فرنسا الجنوبى بحجة الراحة ولكنه فى الواقع كان يخطط لترك السلطة . لم يكن قد مضى على تشكيل وزارته الأخيرة سوى شهرين أتمت فيهما مشروعات قوانين التأميم للانتاج ومصادر توزيع القوى الكهربائية والغاز ، وقد تم ذلك بدون نظر إلى أية مصلحة سوى مصلحة الدولة فقط ، غير أنه قامت أحداث أدت إلى قيام بعض الوزراء بمعارضة دى جول . هدد موظفو الدولة بالاضراب العام لعدم تناسب مرتباتهم مع تكاليف المعيشة ووجد الموظفون حلفاء لهم من بين النواب الاشتراكيين الذى عرفوا باهتمامهم بشئون موظفى الدولة وقد سويت هذه الأزمة بفضل تدخل الحزب الشيوعى الذى لا يريد إسقاط الحكومة فى الوقت الحاضر . عاد الاشتراكيون إلى إلقاء قنبلة ثانية فاقترحوا عند نظر ميزانية الدولة عن سنة ١٩٤٦ خفض ميزانية الدفاع بمقدار ٢٠ فى المائة بعد أن هاجموا ميزانية الدفاع بشدة أمام الجنرال دى جول بالمجلس . ومع أن هذا الهجوم لم يؤد إلى أزمة خطيرة إلا أن الجنرال شعر بأن الخلافات التى

تنشب بالمجلس تعرقل سياسته الخارجية أو كما يقول فى مذكراته « لقد طفح الكيل من كل الجهات » ويضيف « فى آنتيب وبالتروى والتفكير أمام مياه البحر رسمت لنفسى الطريقة التى أترك بها السلطة وهى أن أترك منصبى فى صمت دون أن أتعرض لأى شخص سواء فى السر أو فى العلانية ودون أن أقبل أى مهام أخرى أو أن أقبل تكريماً أو معاشاً ، وأخيراً بدون أن أعلن عما اعتزم القيام به بعد ذلك ، وأكثر من أى وقت مضى يجب على أن احتفظ لنفسى بمكان فوق مستوى الخلافات » .

عاد دى جول إلى باريس ، وفى صباح يوم أحد الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٤٦ دعا كافة وزرائه إلى الحضور إلى وزارة الحربية . يقول دى جول فى مذكراته « دخلت إلى القاعة وصافحتهم جميعاً ودون أن يجلسوا وجهت إليهم الكلمة التالية : « لقد عاد إلى الظهور التناحر الحزبى المستهجن وأنا لا أقبله ، وبدون أن أقيم دكتاتورية بالقوة لا أود أن أقيمها لأنها ستنقلب بدون شك إلى وضع سئ فأنا لا أملك وسيلة يمكننى بها أن أمنع هذا التناحر الحزبى ، ولذلك فإننى أرى من واجبى أن أتنحى عن منصبى . اليوم سأوجه خطاباً إلى رئيس المجلس أخطره باستقالتى . اننى أشكر مخلصاً كلا منكم على المساعدة التى قدمتها إلى وأرجوكم البقاء فى مناصبكم لتصريف الأعمال الجارية لحين تعيين من يخلفكم » . يضيف دى جول بأن أحداً من الوزراء لم يعقب بكلمة على هذا البيان سواء بطلب أن أعدل عن قرارى أو يبدى أسفه للقرار الذى اتخذته .

فى ٢٣ يناير سنة ١٩٤٦ قرر المجلس التأسيسى تعيين رئيسه « فيلكس جووان » رئيساً للحكومة ، وفى ٢٦ يناير حصل على ثقة المجلس وبذلك اختفى الجنرال دى جول من المسرح السياسى . يقول دى جول فى مذكراته « لم يحدث اضراب ولا مظاهرات ولم تعقد اجتماعات ولم تقدم عرائض ... وكيف يمكن للأحزاب أو النقابات أن تتزعم معارضة قرارى التى كانت هى السبب فيه . . اقتصرت الصحافة فى مجموعها على إيراد النبأ وكانت صحيفة « كومبا » هى الصحيفة الوحيدة التى أبدت أسفها

وأوضحت إلى أى حد يؤدى اعتزال الجنرال دى جول إلى نهاية حقبة من تاريخ فرنسا » .

لاشك أن الجنرال دى جول كان يتساءل فى قرارة نفسه عما إذا كان الشعب الذى خرج لتحيته منذ سنتين تحية البطل الظافر المنتصر سيخرج اليوم ليطالب بعودته إلى السلطة .

من يناير إلى مايو سنة ١٩٤٦ انزوى دى جول فى منزل متواضع فى مدينة « مارلى » بالقرب من باريس لكى يكون على مقربة من الأحداث ولكى يستعد للرد على من يهاجمه ولكن أحدا لم يعد حتى يتكلم عنه ، وهو لا يعمل شيئاً ولا يقول شيئاً .

أجريت انتخابات لمجلس تأسيسى فى ٢ يونيه سنة ١٩٤٦ أسفرت عن فوز حزب « الحركة الجمهورية الشعبية » فأصبح أكبر الأحزاب السياسية الفرنسية ولذلك فقد عين جورج بيدو زعيم هذا الحزب رئيساً للحكومة المؤقتة فى ١٩ يونية سنة ١٩٤٦ . بالنسبة للجنرال دى جول فإن فوز « الحركة الجمهورية الشعبية » يجعل عودته أمراً محتملا ، ولكن جورج بيدو شخصية غامضة فهل كان فى الحقيقة من أوفى أنصار دى جول — كما كان يعتقد — أم أنه كان فقط أقلهم عداءاً لدى جول (جورج بيدو كان رئيس المجلس الوطنى للمقاومة قبل التحرير وهو الذى أنشأ حزب الحركة الجمهورية الشعبية سنة ١٩٤٤) .

دى جول يقرر العودة إلى المسرح السياسى :

فى ١٢ مايو سنة ١٩٤٦ قام الجنرال دى جول بزيارة مقبرة جورج كليمانصو . لم تكن هذه الزيارة الأولى من نوعها ، بل أن دى جول كان قد سبق له أن احتفل بذكرى كليمانصو الذى كان فى سنوات ١٩١٧ و ١٩١٨ و ١٩١٩ رمزاً لإرادة النصر وتوحيد كلمة الفرنسيين ، وأمام قبر كليمانصو دعا دى جول كافة الفرنسيين إلى توحيد كلمتهم واستعادة القيم التى دافع عنها كليمانصو وأن لا سبيل إلى الوصول إلى هذا الهدف إلا بإقامة دولة قوية لشعب موحد ، وكان هذا الخطاب بمثابة عودة الجنرال دى جول إلى العمل

السياسى ، وفعلا فقد ألقى بعد ذلك خطاباً ثانياً فى بلدة « بايو » فى أوائل شهر يونيه رسم فيه الخطوط الرئيسية لدستور يضمن للدولة هذه القوة ولفرنسا الأمان والحرية (كانت بلدة بايو هذه أول بلدة حررت فى سنة ١٩٤٤ وأول بلدة تستقبل رئيس فرنسا الحرة بعد التحرير) . هاجم دى جول تناحر الأحزاب واتهمها بتناسى مصلحة الدولة العليا ، ثم ناشد الفرنسيين أن يطالبوا بمؤسسات قادرة على أن تجعلهم يقومون بدورهم على مسرح السياسة الدولية والمحافظة على سلامة أراضيهم . أصبح الجنرال دى جول من الآن وبعد عودته إلى العمل السياسى قوة سياسية على مسرح السياسة الداخلية يجب أن يعمل حسابها .

كان مفهوم دى جول للمؤسسات الدستورية التى يجب أن تقوم فى فرنسا بعد الحرب يختلف كلية عن المفهوم الفرنسى التقليدى للجمهورية وكان لتعبيره عن هذا المفهوم فى خطبه الأخيرة تأثير كبير لدى السياسيين . وصف الشيوعيون مفهوم دى جول بأنه مفهوم فاشستى ، وقال عنه الاشتراكيون بأنه مفهوم مناهض للديمقراطية ، وتردد حزب الحركة الجمهورية الشعبية فى الافصاح عن رأيه . أعلن الاشتراكيون بأنهم لن يقبلوا النظام الرئاسى الذى دعا إليه الجنرال دى جول وانضم إليهم فى ذلك حزب الحركة الجمهورية الشعبية فشعر دى جول بحرج مركزه ودعوته فبادر بالقاء عدة خطب وإصدار عدة بيانات إلى الصحف وأخذ يكرر ما سبق أن نادى به مؤكداً عند الحديث عن وضع فرنسا فى أوربا « لا يمكننا أن نقوم بدورنا فى أوربا إن لم تنظم الدولة لتكون ذات فعالية متحدة ولها طابع الاستمرار » .

بعد كل ذلك وافق المجلس التأسيسى فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٦ على مشروع الدستور الجديد الذى سيطرح للاستفتاء الشعبى يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٦ . ورغم معارضة دى جول الشديدة فقد صوت الشعب الفرنسى بالموافقة على مشروع الدستور الجديد .

لم يكن أمام دى جول الآن فى كفاحه السياسى إلا أن ينزوى ويستسلم

وإما أن يكون لنفسه حزباً وبذلك يدخل فى نطاق السياسة الحزبية التى لا يريدها .

فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦ فاز الحزب الشيوعى فى الانتخابات التشريعية الجديدة التى جرت فى نطاق الدستور الجديد وأصبح أكبر الأحزاب السياسية الفرنسية ولكن تبين بأن عدداً كبيراً ممن لهم حق التصويت قد امتنعوا عن الإدلاء بأصواتهم . وفى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٦ انعقد المجلس الجديد لانتخاب رئيس للحكومة ولم يتمكن من ذلك لعدم حصول « موريس توريز » سكرتير عام الحزب الشيوعى أو جورج بيدو ، زعيم الحركة الجمهورية الشعبية على العدد الكافى من الأصوات لانتخابه ولذلك فقد اتجه الرأى إلى « ليون بلوم » الزعيم السابق للجبهة الشعبية وهو شخصية تاريخية يمكنها أن تتحمل مسئولية الفترة الانتقالية لحين انتخاب رئيس للجمهورية . لم يتمكن ليون بلوم من تشكيل حكومة ائتلافية من كافة الأحزاب وقام بتشكيل الحكومة الجديدة من الاشتراكيين وحدهم وحصل على ثقة المجلس فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

فى ١٦ يناير سنة ١٩٤٧ اجتمع المجلس النيابى الجديد فى فرساى وانتخب المسيو فنسان أوريول رئيساً للجمهورية . عهد الرئيس الجديد إلى « بول رامادييه » من الاشتراكيين بتشكيل أول حكومة فى عهد الجمهورية الفرنسية الرابعة فتمكن فى ٢٢ يناير من تشكيل حكومة ائتلافية اشتركت فيها كافة الأحزاب فيما عدا أحزاب اليمين وأنصار دى جول . تولى الشيوعيون فى تلك الوزارة وزارة الدفاع . فى ٢٨ يناير نالت الوزارة الجديدة ثقة المجلس النيابى وبذلك أصبحت لفرنسا حكومة دائمة ودستور جديد ، وبدأت سفينة الجمهورية الرابعة تتهادى ببطئ نحو أعالى البحار تاركة وراءها بالميناء الجنرال الذى ربما طواه النسيان .

الجنرال دى جول يعلن تشكيل حزب سياسى له :

فى ٧ أبريل سنة ١٩٤٧ وبمدينة ستراسبورج أعلن دى جول عن تكوين تجمع سياسى أسماه « تجمع الشعب الفرنسى » Rassemblement du

Pevle Français فبادر الشيوعيون والاشتراكيون فاتهموه بالدكتاتورية . أما الراديكاليون وأعضاء الحركة الجمهورية الشعبية فانتظروا حتى يتضح الموقف.

على مدى ثلاثة أسابيع تلقت سكرتارية الحزب الجديد ٨١٠ ألف طلب انضمام وظل دى جول يطوف كافة أنحاء فرنسا يلقى الخطب ويهاجم فيها الأحزاب السياسية الصغيرة ويندد بالشيوعيين ويصفهم بالانفصاليين ؛ وفى ٤ مايو سنة ١٩٤٧ أبعد « بول رامادييه » رئيس الحكومة الوزراء الشيوعيين من حكومته .

انتقل حزب دى جول الجديد من نصر إلى نصر إذ حصل مرشحوه فى الانتخابات البلدية التى أجريت فى شهر أكتوبر من عام ١٩٤٧ على الأغلبية المطلقة فى مجلس بلدى باريس واستمر الحزب يعزز مركزه فى كافة المدن الكبرى وظل دى جول يشرف بنفسه على كافة شئون الحزب حتى وصل عدد المنضمين إليه فى نهاية العام إلى مليون عضو ، وقدر عدد مؤيدى دى جول بثلث الشعب الفرنسى ، ومع ارتفاع هذه النسبة لم يكن دى جول راضياً بها ويرى بأن الحركة تسير ببطئ . لجأ دى جول إلى أعوانه القدامى من أنصاره فى حركة فرنسا الحرة من كبار الضباط وسائر الجنود يدعوهم ويستحثهم على الانضمام إلى الحركة الجديدة . كان أندريه مالرو يتولى تنظيم الاجتماعات وكتابة خطب دى جول ، وظل دى جول يطوف بأنحاء فرنسا لمدة ست سنوات يسمع هتاف الفرنسيين له ودعوتهم له بالعودة لتولى السلطة ولكن سياسة الحكومة القائمة والسلطات التى تحكم فرنسا تسير فى الاتجاه الدستورى الذى رسمته لنفسها بدون دى جول .

زادت حدة خطب دى جول سنة بعد أخرى وأصبحت كلماته مثل طلقات الرصاص فى مهاجمة أعضاء البرلمان وأعضاء الحكومة . كانت موضوعات خطبه لا تتغير فهى دائماً عن طريقة الحكم وشكل السلطة لتتمكن فرنسا من أن تقوم بدورها فى أوربا وفى العالم .

أصدر دى جول صحيفة أسبوعية أسماها « الشرارة الفعالة » لتأييد

حركته ثم أصدر بدلا عنها صحيفة أسبوعية أخرى فى فبراير سنة ١٩٤٨ أسماها « حرية الفكر » فنالت نصيباً من النجاح وكان الهدف منها إبعاد الطبقة المثقفة عن الافتنان بالشيوعية .

فى مجال العمل السياسى تنحصر المبادئ التى كان الجنرال دى جول يدعو إليها فى تحرير النظام الجمهورى من الاقطاع الحزبى وأن تعمل السلطة لخدمة الشعب وتصفية عوامل التفرقة بين طبقات الشعب وتجميعه تحت لواء دولة عادلة قوية مع فرض النظام فى أجهزة الخدمات العامة وفى شئون الإدارة والمال ، وزيادة الإنتاج بإشراك العمل ورأس المال فى الصناعة والوصول إلى هدف أن تكون فرنسا مخزناً للغلال لتموين غرب أوربا ويتحقق ذلك بتجهيز الزراعة بالوسائل الحديثة ، أما فى مجال الدفاع فكانت سياسة دى جول تكوين جيش حديث يليق بفرنسا .

أما فى مجال السياسة الخارجية فعمل على أن يصبح الاتحاد الفرنسى الذى يضم أنحاء الامبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار اتحاداً فرنسياً ونزعم أوربا نحو الوحدة لتقوم بدورها فى حفظ السلام مع دول الأطلنطى كشركاء لا كأتباع لأسياد .

وأخيراً — كما كان يقول دى جول — أن تكون فرنسا هى فرنسا .

فى كافة المواضيع التى هاجم فيها دى جول النظام البرلمانى الحزبى القائم كان هناك موضوع واحد عرف طريقه إلى نفوس أفراد الشعب واقتنع بحجة دى جول عنه هو عندما قال بأنه ليست هناك أمة يمكنها أن تنهض برزانة وليس هناك عمل يمكن اتمامه بصورة صحيحة ما لم يكن هناك قدر كاف من الاستقرار للقائمين به ، ولكن فرنسا ضربت الرقم القياسى فى الأزمات الوزارية إذ تعاقب عليها فى المدة من ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٧ حتى ٩ مارس سنة ١٩٥١ خمسة رؤساء وزارات وبدا وكأن إسقاط الوزارات أصبح مهمة الحياة البرلمانية فى فرنسا .

اعتاد الرأى العام الفرنسى على تلك الأزمات الوزارية وكان كلما

أسقط البرلمان وزارة لم يسع الرأى العام إلا التهكم ، ولكنه فى حقيقة الأمر كان يشعر بأسى فى نفسه .

كان شهر يونيه سنة ١٩٥١ هو شهر الانتخابات التشريعية الجديدة ، وفيها فاز حزب دى جول بـ ١١٨ مقعداً ، وحصل الشيوعيون على ١٠٣ مقاعد وحصل المعتدلون على ٩٨ مقعداً والراديكاليون على ٩٤ مقعداً والحركة الجمهورية الشعبية على ٨٥ مقعداً والأحزاب الاشتراكية على ١٠٤ مقاعد .

كانت النتيجة لا تعطى نصراً حاسما لدى جول ولكن ما كادت تعلن تلك النتيجة حتى نادى حزبه بأحقيته فى تولى السلطة ولكن أحزاب الوسط رفضت الاستجابة إلى ذلك . استمرت الأزمة الوزارية فى تشكيل الوزارة طوال شهر يوليه وأخيراً فى ٨ أغسطس اتفق على أن يتولى رئاسة الوزارة المسيو « رينيه بلفن » وحصل على تأييد ٣٩١ صوتاً ضد ١٠٢ . بقى فى الحكم لمدة خمسة أشهر ، جاء بعده « انطوان بيناى » وبعد ثلاثة أشهر من تشكيل تلك الوزارة استقال ستة وعشرون نائباً من حزب دى جول من الحزب . كانت هذه الاستقالات نزير تفكك خطير فى الحزب . لم تكن هناك أرضية مشتركة بين دى جول ونواب حزبه ولم يتكون تفاهم ولا تآلف بينه وبينهم فقطع دى جول علاقته بالحزب الذى كونه وعاد دى جول وحيداً من جديد .

لم يتأثر نواب حزب دى جول بانسحابه من المسرح السياسى فقد كانوا قد اندمجوا فى الحياة الحزبية البرلمانية واعتادوا على ممارستها ، حتى أنهم فى شهر يناير سنة ١٩٥٣ أيدوا تشكيل حكومة جديدة برئاسة « رينيه مايير » ، وفى مايو من نفس السنة أسقطوها . أعلن أحد زعمائهم بعد ذلك « لسنا أمواتاً إذ يمكننا أيضاً أن نخرب » ، وكان غريباً أن يصدر مثل هذا التصريح عن عضو يريد إثبات وجود حركة تركها الجنرال دى جول من خمسة عشر يوماً فقط .

توالت الأزمات فنواب دى جول يمتنعون عن التصويت فى ترشيح

بول رينو وبيير منديس فرانس لتولى رئاسة الحكومة ولكنهم يؤيدون ترشيح جورج بيدو الذى يرفضه الشيوعيون . بعد أزمة وزارية دامت ٣٦ يوماً انضم نواب دى جول إلى أحزاب الوسط فى تأييد « جوزيف لانييل » . كانت فى الواقع أزمة مفتعلة إذ انتقلت رئاسة الوزراء من راديكالى معتدل إلى معتدل راديكالى والفرق الوحيد هو أن نواب دى جول عرفوا طريقهم إلى الوزارة فأصبح بعضهم وزراء ولكن الحزب انقسم على نفسه بين المتشبثين بعدم الاشتراك وعلى رأسهم ميشيل دبريه وبين أصحاب سياسة الاشتراك وعلى رأسهم جاك شابان دلماس .

أنزواء الجنرال دى جول ببلدة « كولومبى — لوديز — إجليز :

انزوى الجنرال دى جول ببلدة قريبة من باريس وأقام فى فيلا صغيرة يمتلكها فى تلك البلدة واسمها « كولومبى — لوديز — اجليز » .

إن كان دى جول غير راض عن نفسه الآن فى حاضره فهو على كل حال راض عن ماضيه ، لذلك فقد عكف على كتابة مذكراته عن « ذكريات الحرب » التى يعتبرها وصيته السياسية . أبدى فى تلك المذكرات رأيه فى سياسى الجمهورية الثالثة التى اندثرت بالاحتلال الألمانى لفرنسا سنة ١٩٤٠ وانتقاله إلى لندن ثم تكوينه حركة فرنسا الحرة ، ثم كفاحه من أجل المحافظة على استقلال فرنسا وسلامة مستقبلها وامبراطوريتها وكأنه فى تلك الذكريات ينحت تمثالا لنفسه فى مسيرة التاريخ .

الحرب فى الهند الصينية :

الهند الصينية الفرنسية تعيش الآن أشهرها الأخيرة . منذ ٢٦ أبريل سنة ١٩٥٤ يجتمع فى جنيف ممثلو الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى والصين وبريطانيا وفرنسا لحل مشاكل كوريا والهند الصينية الفرنسية . قبل جوزيف لانييل رئيس حكومة فرنسا تدويل مشكلة الهند الصينية الفرنسية وتسوية النزاع دولياً . كان الديجوليون بالمجلس يعارضون سياسة التدويل ويترقبون ، وفجأة فى ٧ مايو سنة ١٩٥٤ أعلن بأن الحامية

الفرنسية فى حصن ديان بيان فو قد استسلمت أمام هجمات « الفييت مين » وانتشر نبأ الهزيمة بباريس فى اليوم التالى ووضعت تلك الهزيمة الوفد الفرنسى فى مؤتمر جنيف سالف الذكر فى وضع سئ .

فى ٩ مايو سنة ١٩٥٤ توجه الجنرال دى جول بمفرده إلى قبر الجندى المجهول بباريس ووقف تحت قوس النصر بميدان « ليتوال » وكأنه وقف ليتقبل العزاء . تحول تصرف دى جول إلى مظاهرة وطنية قام بها فريق من المحاربين القدامى ينعون مصير رفاقهم فى السلاح ويندددون بعجز الحكومة عن تدعيم القوات المحاربة فى الهند الصينية .

كان « جوزيف لانييل » رئيس الحكومة ضحية هزيمة ديان بيان فو ، وفرصة لظهور بطل جديد هو « بيير منديس فرانس » إذ سقط الأول فى ١٢ يونيه سنة ١٩٥٤ وتولى الثانى رئاسة الحكومة فى ١٨ منه ومنحه المجلس ثقة بأغلبية كبيرة . ورغماً عن اشتراك بعض أنصار دى جول المقربين منه فى وزارة منديس فرانس هذه فقد هاجمها دى جول فى ٢٢ يونيه وأعلن عدم رضائه عن النظام بأكمله .

الثورة الجزائرية :

فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ انطلقت عدة طلقات نارية من عدة جهات فى مدينة الجزائر . كان عدد الثوار محدوداً ولكن مجلس الوزراء الفرنسى شعر بأن هذه هى بادرة ثورة مسلحة وأنها قد تؤدى إلى هزة قوية فى نظام الاستعمار بأكمله اذ كانت المظاهرات والاغتيالات وأعمال رجال العصابات مستمرة فى تونس والمغرب منذ سنة ١٩٥٢ .

كانت حكومة بيير منديس فرانس قد تمكنت بشجاعة من حل مشكلة تونس وكان يمكنها أن تواجه مشكلة الجزائر بنفس الروح ولكن تألب عليها المحافظون واليساريون معاً ، فالأول لا يغتفرون لها حل مشكلة تونس على النحو التحررى الذى تم ويتحفزون لإسقاطها ، واليساريون قلقون من ازدياد مركز ونفوذ رئيس الحكومة ويخشون من سيطرته على عواطف اليساريين بسياسته الجديدة . أما الديجوليون فقد جلسوا فى مقاعد المترقبين .

فى ٦ فبراير سنة ١٩٥٥ فشل منديس فرانس فى الحصول على الثقة بالمجلس عندما نادى الجمهوريون والاشتراكيون بأن السياسة الوحيدة الواجب اتباعها فى الجزائر هى إعلان الحرب على الثورة وشاركتهم فى ذلك كافة الأحزاب الاشتراكية وأيدهم جميع النواب الذين كانوا يرون بأنه لابد أن تبقى الجزائر قطعة من فرنسا .

قبل أن يترك منديس فرانس رئاسة الحكومة عين ديجولياً يرضى عنه اليسار حاكماً على الجزائر وهو « جاك سوستيل » الذى كان فى شبابه عضواً بالجبهة الشعبية (كان جاك سوستيل سكرتيراً عاماً لحزب تجمع الشعب الفرنسى الذى أنشأه دى جول فى أبريل سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٥١) . وكان سوستيل يؤكد للحكومة الفرنسية قبل أن يتولى منصبه فى الجزائر ثقته التامة فى إخماد الثورة فى الجزائر بالقوة ، ولكن كان هناك أمام الثوار الجزائريين حدثان أولهما أن الحبيب بورقيبه قد تولى السلطة فى تونس فى أول يونيه سنة ١٩٥٥ وأنه فى ١٦ نوفمبر من نفس العام استعاد السلطان محمد الخامس عرشه فى المغرب ، ولذلك فقد صمموا على أن يأتى دورهم فى الاستقلال .

منذ ٣٠ يونيه سنة ١٩٥٥ وهو تاريخ آخر مؤتمر صحفى عقده دى جول التزم الصمت .

فى ٣١ يناير سنة ١٩٥٦ رشح « جى موليه » سكرتير عام حزب S.F.I.O رئيساً للحكومة ((حزب القسم الفرنسى لحركة العمل الدولية الذى يطلق على نفسه الحزب الاشتراكى كما سبق ذكره (، وجى موليه هذا هو الذى تآمر مع إسرائيل وبريطانيا على غزو مصر من بور سعيد ومنطقة قناة السويس فى أكتوبر — نوفمبر سنة ١٩٥٦) .

فى ٦ فبراير سنة ١٩٥٦ حاول جى موليه أن يفعل فى الجزائر ما سبق أن فعله بيير منديس فرانس فى تونس منذ عامين وانتظر أن يتلقى نتيجة لمقترحاته من الثوار الجزائريين ولكنه تلقى رصاصاً فقرر أن يزج بفرنسا فى محاربة الجزائريين وبعث إلى الجزائر بقوات ضخمة من الجنود والعتاد

وكانت الأغلبية العظمى من النواب ، وفى مقدمتهم الشيوعيون ، يؤيدون جى موليه فى سياسته نحو الجزائر تأييدا تاماً .

فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وبينما كان خمسة من زعماء الثورة الجزائرية فى طريقهم بالطائرة من الدار البيضاء فى المغرب إلى تونس ، وبسبب خيانة قائد الطائرة الذى كان على اتفاق مسبق مع السلطات الفرنسية ، هبطت الطائرة فى مطار الجزائر . خرج الزعماء الخمسة من الطائرة وهم لا يدركون بأنهم فى مطار الجزائر ليجدوا أنفسهم أمام خمسمائة جندى شاهرى المدافع الرشاشة ، كان الزعماء الذين قبض عليهم هم : أحمد بن بيلا ، محمد خيضر ، مصطفى الأشرف ، محمد بوضياف ، حسين آيات أحمد . (بعد ثمان سنوات من إعلان استقلال الجزائر دخل الأول السجن واغتيل الثانى فى أسبانيا وانضم الثلاثة الآخرون إلى المعارضة) .

صفق الشعب الفرنسى لجى موليه على فعلته هذه واعتبرها عملية استاذية ما عدا وزير اشتراكى اسمه « آلان سافارى » احتج عليها واستقال من الحكومة من أجلها واعتبرها عملية قرصنة جوية .

استمرت الثورة الجزائرية . وعلى عكس ما كان يعتقد جى موليه ، انقلبت إلى حرب تحرير بكل أبعادها وكانت سبباً فى انقسام الشعب الفرنسى وتوالى تشكيل الوزارات على مدى سنتين . سقط جى موليه وجاء من بعده موريس بورج مونورى ثم فيلكس جايار .

كان دى جول منزوياً عن المسرح السياسى وبعيداً عن السلطة ولكنه مع ذلك ظل بالنسبة للشعب الفرنسى رمزاً وأملا . فى الأحداث الأخيرة الخطيرة التى تتوالى على فرنسا عاد دى جول إلى تفكير الشعب الفرنسى وأصبح من جديد قوة سياسية . لقد امتنع حتى الآن عن الحديث إلى الجماهير ولكنه كان يستقبل السياسيين الذين يستمعون إلى آرائه وينقلونها إلى مؤيديهم .

فى شهر يناير سنة ١٩٥٧ زار الجنرال دى جول الجزائر فاستقبله الوزير الفرنسى المقيم المسيو روبير لاكوست والقائد العسكرى الجنرال

سالان ولم يكن يعلم هؤلاء الثلاثة بأن القدر يخبأ لهم فى السنوات القليلة المقبلة مواجهة عنيفة ومريرة من أجل مصير الجزائر . بدأت الصحف الفرنسية تتحدث عن شارل دى جول وتقترح دعوته لتولى السلطة .

فى أواخر سنة ١٩٥٧ بدا وكأن عودة الجنرال إلى تولى السلطة أمراً محتملا بل وفى بعض الأحيان أمراً لابد منه . عاد أعوان دى جول يكثرون من اتصالاتهم به وكسب مختلف الاتجاهات إليه ، وكان كل نشاطهم مركزاً على ضرورة عودة الجنرال إلى الحكم لمواجهة متاعب فرنسا بروح الوحدة .

وعندما اشتدت الزوابع السياسية سنة ١٩٥٨ وتبين بأن النظام القائم يحتضر لجأ السياسيون إلى دى جول فلم يضع إلا شرطاً واحداً لعودته إلى العمل السياسى وهو تعديل الدستور .

فى أول يونيه سنة ١٩٥٨ عاد الجنرال دى جول رئيساً للحكومة وحصل على تفويض كامل لتعديل الدستور وتوجه الجنرال إلى البرلمان ووسط زوبعة من جانب الشيوعيين للاعتراض على التفويض قال دى جول « ما أفعله هو من أجل الجمهورية أن تستمر » وحصل على تأييد ٣٥٠ بمنح التفويض ورفضه ١٦١ وامتنع سبعون نائباً عن الاشتراك فى التصويت وتقرر أن يعرض مشروع التعديل على الشعب فى استفتاء عام .

لم يهتم الشيوعيون بالتعديلات المقترحة بقدر ما ركزوا اهتمامهم على دعوة الشعب إلى رفضه . شارك فى حملة الرفض بعض كبار السياسيين اليساريين وفى مقدمتهم بيير منديس فرانس وفرانسوا ميتيران رئيس فرنسا الحالى .

فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ أجرى الاستفتاء على مشروع الدستور الجديد وحصل دى جول على موافقة الشعب الفرنسى عليه بأغلبية عظمى ، وبذلك حصل دى جول على كافة السلطات الدستورية ، وأصبح هذا الدستور الجديد هو دستور الجمهورية الخامسة .

فى ٢٣ و ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٨ أجريت الانتخابات التشريعية بمقتضى

قانون الانتخاب الجديد وكان دى جول قد أقام اتحاداً لمؤيديه أسماه « اتحاد الجمهورية الجديدة » Union de la Nouvelle République : ففاز مرشحوه بـ ١٨٩ مقعداً فى المجلس الجديد وخسر الشيوعيون عدداً كبيراً من مؤيديهم . فشل فى تلك الانتخابات عدد ملحوظ من السياسيين التقليديين ، كما لم ينتخب فرانسوا ميتيران نفسه وأصبح نصف أعضاء المجلس الجديد مكوناً من وجوه جديدة .

اجتمع المجلس الجديد فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٥٨ وانتخب جاك شابان دلماس رئيساً له . فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٨ انتخب دى جول رئيساً للجمهورية الخامسة لمدة سبع سنوات طبقاً لنص الدستور الجديد .

أهم ما جاء بالدستور الجديد من مبادئ هو أن الاستفتاء العام للشعب هو مصدر السلطة للسلطتين التشريعية والتنفيذية ، فصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية فصلا تاماً وذلك بأن يتولى كل منهما اختصاصاته ويتحمل مسئولياته . أن تكون الحكومة هى المسئولة أمام البرلمان .

فى ٨ يناير سنة ١٩٥٩ تسلم الجنرال دى جول مهام رئاسة الجمهورية من الرئيس الذى انتهت مدة رياسته وهو المسيو « رينيه كوتى » ، وعهد إلى « ميشيل دبريه » بتشكيل أول وزارة فى عهد رياسته الحالية (كان جيسكار ديستان رئيس جمهورية فرنسا السابق وزيراً فى تلك الوزارة) :

دى جول والثورة الجزائرية :

كان لكل فرنسى رأيه فى مشكلة الجزائر إلا واحداً وهو الجنرال دى جول ، كان يزوره مئات السياسيين يسألونه رأيه فى طريقة لحل مشكلة الجزائر فكان يمتنع عن الإدلاء برأى عن حل ما ، كان يفهم القلق الذى يسيطر على أنصار الجزائر فرنسية وكان يحترم أولئك الذين يحاربون من أجل استقلال بلادهم ، فقد كان هو أيضاً يوماً ما واحداً منهم ، كان يفهم أيضاً آراء التحررين من مثقفى اليسار ولكن كل هذا كان يبدو لدى جول أمراً ثانوياً إذ كان يرى بأنه يجب إعادة بناء الدولة أولا وذلك بإقامة المؤسسات التى يراها ثم إقامة التوافق بين الدولة والجيش بالإقناع أولا

ثم بإصدار الأوامر بعد ذلك . عندما تقف الدولة على أرجلها وعندما يمتنع الجيش عن رفض إطاعة أوامر الدولة عندئذ تكون نصف مشكلة الجزائر قد حلت . كانت زيارة دى جول للجزائر بعد ثلاثة أيام من توليه السلطة (يوم أول يونيه سنة ١٩٥٨) دليلا على القلق الذى كان يسيطر على تفكيره بشأنها . استقبل دى جول بالجزائر يوم ٤ يونيه سنة ١٩٥٨ استقبالا حافلا ، فلأول مرة امتنع المستوطنون الفرنسيون والجنود الفرنسيون والثوار الجزائريون عن القتال خلال الزيارة واتجهوا بأنظارهم نحو الشخصية الأسطورية ليستمعوا إليه وهو يقول من شرفة مقر الحكومة يوم وصوله « لقد فهمت ما تريدون » . كانت هذه الجملة قمة الصدق والحقيقة ، كان على دى جول الآن أن يعالج مشاكل قرن من الزمان تشبع بالظلم والتفرقة . قال لهم دى جول « منذ اليوم لن يكون بالجزائر سوى طبقة واحدة من السكان ، لا تفرقة بين عرب وقبائل ومستوطنين ، سيكون الجميع أبناء فرنسا لهم حقوق متساوية » . لكن دى جول لم يكن يقدر عمق الهوة التى نشأت بين الجزائريين أصحاب البلاد الأصليين وبين المستوطنين الفرنسيين وبين القوة الثورية الدافعة للفريق الأول والتعصب الأعمى للفريق الثانى .

لم ينته الأمر إلى شئ وحافظ كل فريق على موقفه ، والجيش الفرنسى الذى ذاق مرارة الهزيمة فى الهند الصينية يتوق إلى استعادة ثقة الشعب به بالحصول على نصر رخيص ضد الجزائريين فعادت الحرب الدموية بين الجيش الفرنسى فى الجزائر والثوار الجزائريين .

لم ينتظر دى جول طويلا فهو يعلم بأن جيشه قد مزقته سحب العقائد الداكنة . كان دستور سنة ١٩٥٨ للجمهورية الخامسة قد أقر قيام رابطة تقبلتها المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا بالإجماع تقريباً فدار فى ذهن دى جول أن تنضم الجزائر إلى تلك الكتلة الضخمة من الشعوب .

رأى دى جول بأن الحرب فى الجزائر قد استمرت أكثر مما يجب وأنها قد انهكت نفسية الشعب الفرنسى بأكمله لاسيما وقد فهم خلال خبرته

فى أفريقيا السوداء استحالة إقامة نظام وسط بين الاستقلال والاستعمار وأن انتصاراً عسكرياً للجيش الفرنسى فى الجزائر لن يغير من الموقف شيئاً ولن يحل المشكلة وأن فكرة الجزائر الحرة لا يمكن القضاء عليها . كثر عدد الرسل بين باريس وتونس .

فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٨ ومن فوق رؤوس أنصار الجزائر فرنسية اقترح دى جول على جبهة التحرير الجزائرية « سلام الشجعان » . تردد زعماء الجبهة وأركان حربها فى تونس ولكنهم شعروا بأن الجنرال دى جول يختلف عن السياسيين الفرنسيين الذين عرفوهم وتأثروا بمكانته وأصبحوا أكثر ميلا للثقة به ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا يقيسون الثقل السياسى لأصحاب الرأى بأن تظل الجزائر فرنسية وتصميم العسكريين وبين مقدرة دى جول على تنفيذ كلمته وهل لديه إمكانيات المحافظة عليها فى الوقت الذى لا يشكون فى إخلاصه . فى نهاية الأمر فضلوا السكوت والانتظار .

ظل الجنرال دى جول متردداً لمدة عام ولكن الحرب تستعر وتمتد . كان الجيش الفرنسى يحقق فى الظاهر بعض المكاسب ولكن الموقف يتدهور على الصعيد الدولى بعد أن أصبح الجزائريون أبطالا أسطوريين تصفق لهم الأمم المتحدة . تأكد دى جول بأنه طالما بقيت حرب الجزائر فسيبقى حلم دى جول الكبير بتخطيط سياسة خارجية جديدة لفرنسا سراباً ، وقرر أنه لابد من إنهاء تلك الحرب .

فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٩ كان دى جول قد توصل إلى حل فلجأ إلى إذاعات الراديو والتلفزيون ليقول للفرنسيين « لا تزال أمام فرنسا مشكلة دموية صعبة هى مشكلة الجزائر ويجب علينا أن نجد حلا لها ، وسنجد هذا الحل ، حل الدولة العظيمة وبالطريق الوحيد السليم ، أريد أن أقول بالاختيار الحر الذى سيمارسه الجزائريون لتقرير مستقبلهم » .

قرر دى جول أن يستفتى الجزائريون لا عن طريق مندوبيهم فى

المجلس الوطنى الفرنسى ولا عن طريق زعماء الثورة بل يستفتون فرداً فرداً وسيقدم لهم الاختيار ما بين الانفصال أو الاندماج الكلى مع فرنسا وإما إقامة حكومة جزائرية بواسطة جزائريين تستند إلى معونة فرنسا باتحاد متين معها . كان دى جول يأمل أن يصوت الجزائريون لهذا الاقتراح الأخير . ولم يبق إلا تحديد تاريخ إجراء هذا الاستفتاء ورد الفعل لدى زعماء الثورة .

تأكد زعماء الثورة الجزائرية بأن السلطة الحقيقية للدولة قد أصبحت بيد الجنرال دى جول لا بيد المستوطنين الفرنسيين فلم ينضم الجيش الفرنسى فى الجزائر إلى حركات التمردين من رجال الحكومة الفرنسية فى الجزائر وأن لدى جول أراءه الخاصة وأنه ينوى تنفيذها .

كان دى جول يعلم بأن لا سبيل إلا أن تستقل الجزائر ولكنه كان مصمماً على أن لا يكون الثوار هم الوارثون لهذا التطور بل رغب فى أن يقوم من بين الجزائريين زعماء جدد قادرون على تسلم مصير البلاد ومقاليد الحكم تدريجياً .

ساد الغضب الفرنسيين والأوربيين فى الجزائر وأصبحوا لا يخفون عداءهم لسياسة دى جول بعد تحفظ منهم دام عاماً بأكمله . تأكدوا جميعاً الآن بأن الجزائر جزائرية معناه أن الباب أصبح مفتوحاً أمام الجزائريين للحصول على أستقلالهم وأن أحلامهم بأن تبقى الجزائر فرنسية قد انتهت .

فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٩ ، أى بعد ثلاثة أيام من إذاعة الجنرال دى جول لسياسته الجديدة أجاب عليها جورج بيدو بأن أعلن عن تكوين هيئة سماها « تجمع من أجل العمل على أن تظل الجزائر فرنسية » .

كان الجيش الفرنسى فى الجزائر مكوناً من أربعمائة ألف رجل مزودين بأحدث الأسلحة والمعدات ومنهم الضباط والجنود الذين تدربوا على حرب العصابات فى الهند الصينية ولكن هزيمة ديان بيان فو كانت لا تزال تقلق خواطرهم .

فى ١٠ نوفبر سنة ١٩٥٩ عقد الجنرال دى جول مؤتمراً صحفياً أثار فيه المشاعر مرة أخرى إذ أيد ما سبق أن أعلنه فى ١٦ سبتمبر من تصميمه على سياسته الجديدة . رماه بعض السياسيين الفرنسيين بالخيانة وأذاع جورج بيدو بياناً أعلن فيه رفضه لكل ما جاء بالمؤتمر الصحفى بشأن الجزائر الفرنسية .

أصبح الموقف السياسى فى فرنسا الآن أشبه ما يكون بأعلان حرب سياسية . قرر الجنرال دى جول أستدعاء الجنرال « جاك ماسو » قائد الجيش الفرنسى فى الجزائر إلى باريس بعد أن صرح لصحيفة ألمانية غربية عن شكوكه فى أن ينفذ الجيش الفرنسى فى الجزائر أوامر الجنرال دى جول بشأن الاستفتاء . فى ٢٤ يناير سنة ١٩٦٠ غادر الجنرال ماسو الجزائر فقامت مظاهرات صاخبة فى الجزائر تنادى برفض سياسة ترك الجزائر ويهتف بعضها « دى جول إلى المشنقة » وأشتد تبادل أطلاق النار الذى أسفر عن قتل ثمانية وجرح ٢٤ من بين المتظاهرين كما قتل أربعة عشر وجرح ١٢٣ من بين صفوف قوات حفظ النظام وبدأت المواجهة بين الجنرال دى جول وفرنسيي الجزائر لأول مرة ، ولكنها لم تكن الأخيرة .

فى ١٤ يونيه سنة ١٩٦٠ أعلن الجنرال دى جول على شاشة التليفزيون « مرة أخرى أتوجه بأسم فرنسا إلى مدبرى الانتفاضة . أننى أعلنهم بأننا ننتظرهم هنا لكى نعثر معهم على نهاية مشرفة للقتال الذى لا يزال مستمراً ونقرر مصير الأسلحة ونأمن مصير المحاربين ، بعد ذلك سنعمل كل ما يؤدى إلى أن يقول الشعب الجزائرى كلمته فى هدوء وأن القرار لن يكون إلا قراره » . ثم أعرب الجنرال عن أمله فى أن تصبح الجزائر بلداً مزدهراً بالتعاون مع فرنسا والرابطة الفرنسية .

فى تونس تلقت حكومة الجزائر المؤقتة العرض بجدية وقررت أختبار نوايا دى جول . فى باريس انتظروا وصول فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة ولكن وصل فى ٢٥ يونيه إلى بلدة « ميلون » مندوبان هما أحمد بو منجل وبن يحيى وهما شخصيتان لها مكانتهما فى الثورة . كان الأول على علاقات صداقة مع شخصيات فرنسية كثيرة فى باريس وكان الثانى شابا يمثل

الاتجاه السياسى الحقيقى لجبهة التحرير الجزائرية . كان الهدف من أرسال الاثنين وضع الترتيبات لاجتماع على مستوى أكبر ولكنهما عادا إلى تونس فى ٢٩ يونيه دون أن يحققا شيئاً إذ تبين لهما بأن عرض الجنرال دى جول لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية وقد أراد به أن يقيس مدى تصميم الجزائريين ، كان يريد أن يعرف عما إذا كان يمكنه إنهاء الحرب قبل أن يمس المشكلة السياسية ، أى أنه أراد أن يستبدل جبهة التحرير أو أن يقسمها على نفسها بانشاء قوة جديدة معتدلة . كان يتمهل فى الوصول إلى أتفاق فى الوقت الحاضر ظناً منه بأن الثورة الجزائرية قد دخلت فى مأزق عسكرى حرج مما سيؤدى بزعماء الثوار إلى خفض رؤوسهم .

الجنرال دى جول فى الجزائر :

وصل دى جول إلى مدينة الجزائر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٠ ليقابل جماهير الفرنسيين الغاضبين دون خوف أن يقذف بالطماطم أو بالرصاص . قام الفرنسيون والأوربيون بالتظاهر ضده . أخذ دى جول يخترق جماهير المتظاهرين بكل شجاعة وهم يصيحون « الجزائر فرنسية » واستمر فى جولته لمدة ثلاثة أيام أسفرت عن خمسة قتلى بين الأوربيين وتأكد بعد رحلته هذه بأنه لا مجال للتفاهم بينه وبين هؤلاء المستوطنين وفى ١٢ ديسمبر حدث تحول خطير ، خرجت جموع الجزائريين إلى الشوارع تهتف بحياة دى جول وبحياة عباس فرحات فى السلطة ، كانوا إذن يهتفون فى وقت واحد للجنرال دى جول وللثورة ، وفى اليول التالى ظهرت أعلام جبهة التحرير الجزائرية الخضراء فى كل مكان وأنتقلبت المظاهرات التى قامت للجنرال دى جول إلى مظاهرات لجبهة التحرير الجزائرية . تدخلت قوات الأمن الفرنسية وأسفر هذا التدخل فى يومى ١٢ و ١٣ ديسمبر عن خمسة وسبعين قتيلا .

فى ٨ يناير سنة ١٩٦١ أجرى أستفتاء للشعب الفرنسى على مشروع دى جول بشأن مستقبل الجزائر فجاءت النتيجة أنتصاراً ساحقاً للجنرال . قبل المشروع خمسة عشر مليوناً ورفضه خمسة ملايين هم الشيوعيون وأنصار الجزائر فرنسية .

فى الجزائر أنتصر دى جول أيضاً ، قبل المشروع مليون و ٩٠٠ ألف ورفضه ٨٠٠ ألف وكان عدد الذين أمتنعوا عن الأدلاء بأصواتهم مليونين . كان تحليل النتائج واضحاً وهو أن المستوطنين قد رفضوا المشروع وانقسم الجزائريون إلى فريقين متساويين الفريق الأول الذين لم يدلوا بأصواتهم وهم أعوان جبهة التحرير الجزائرية والفريق الثانى وهم الذين كان يأمل دى جول فى أن يكونوا جبهة جديدة كان يسميها « القوة الثالثة » .

فى ١٦ يناير سنة ١٩٦١ خرجت حكومة الجزائر المؤقته عن صمتها بعد أن أذيعت نتائج الاستفتاء رسمياً وأعلنت أستعدادها للتفاوض مع الحكومة الفرنسية حول شروط إجراء أستفتاء حر للشعب الجزائرى . كثرت الاتصالات السرية بين تونس وباريس . وفى ٣٠ مارس سنة ١٩٦١ أعلن كل من الجانبين الفرنسى والجزائرى فى آن واحد أفتتاح مؤتمر « إيفيان » يوم ٧ أبريل سنة ١٩٦١ . أشتد غضب الأوربيين فى الجزائر ووصل العنف إلى مداه وأمتد إلى أرض فرنسا نفسها إذ أغتيل عمدة مدينة « ايفيان » (كاميل بلان) . لم يحاول الجنرال دى جول أن يتراجع فعقد مؤتمراً صحفياً يوم ١١ أبريل قال فيه « أن فرنسا تأخذ فى حسابها اليوم ، وبكل هدوء ، حلا يهدف إلى أن تخرج الجزائر من نطاق سيطرتها ، كان هذا الحل يبدو فى الماضى وكأنه كارثة ولكننا نأخذه اليوم فى حسابنا بقلب هادئ مطمئن » . قال أنصار الجزائر فرنسية بأن سبع سنوات من حرب مريرة قد تحطمت على هذه الجملة التى أثارت أهتماماً فى جميع أنحاء العالم .

اعتبر المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر بأن وقت الشدة قد بدأ بالنسبة لهم ، واعتبر قواد الجيش الفرنسى فى الجزائر بأن هذا البلاغ المشترك هو أعلان عن هزيمتهم وأنهم لا يقبلونه ، وفى صباح يوم ٢٢ أبريل أعلن الجنرال « شال » بأنه قد تسلم القيادة والسلطة على جميع أراضى الجزائر ، لكن العقلاء من المستوطنين قد اعتبروا بأن معركتهم خاسرة ، ولذلك فقد أستعدوا للرحيل .

السؤال الذى كان يتردد فى الأذهان « ماذا سيفعل الجيش الفرنسى الموجود الآن على أرض فرنسا » . تبين سريعاً بأن هذا الجيش لن يشترك فى النزاع إلا إذا حضر جنرالات الجزائر إلى أرض فرنسا .

عاد الجنرال دى جول مرة أخرى وبدون تردد يتحدث إلى الفرنسيين فى فرنسا والجزائر ويعيد تحديد سياسته ويندد بتصرفات جنرالات الجزائر الذين أحالهم إلى المعاش ويطلب إلى الضباط والجنود أن لا يطيعوا أوامرهم . بعد تلك الخطبة واجه الجنرال « شال » فى الجزائر مقاومة من جنوده وتردد ضباطه فى إطاعة أوامره وهم الضباط الذين كانوا يرون ضرورة إطاعة أوامر القائد الأعلى (دى جول) ، وشعر بقية الجنرالات بأن الدائرة ستدور فوق رؤوسهم .

فى مساء يوم الأحد التالى ليوم خطاب دى جول فى ١١ أبريل سرت إشاعة فى جميع أنحاء باريس بأن جنرالات الجزائر يعتزمون — أثناء الليل — انزال جنود مظلات على باريس لاحتلالها . ظهر رئيس الوزراء ميشيل دبريه فجأة على شاشة التلفزيون فى الساعة الحادية عشرة مساءاً يطلب إلى الفرنسيين أن يتوجهوا إلى المطارات ليحموها بصدورهم من جنود المظلات القادمين من الجزائر . فى الوقت نفسه امتلأت ميادين وشوارع باريس بالمدرعات وسيارات الجيش المحملة بالجنود وتطوع الكثيرون لحمل السلاح وصد الغزاه القادمين من الجو . فى الصباح لم يكن هناك شىء قد حدث . أسر دى جول بعد ذلك لأحد وزرائه بأنه لم يكن يتردد إذا لزم الأمر بأن يأمر باطلاق مدافع الأسطول على الجزائر . فى الجزائر مر يوم الاثنين بأكمله فى ارتباك تام وظل الجنرالات المترددون يلقون الخطب بعصبية وبدون أن يقرروا شيئاً .

فى صباح الثلاثاء قرر الجنرال « شال » أن يسلم نفسه فاتخذ طريقه إلى باريس بعد الظهر وما أن وصل إليها حتى أودع السجن فى مساء نفس اليوم ، كما أستسلم الجنرال « زيلر » واختفى « سالان » بين جماهير الشعب .

أصبح هدف أنصار الجزائر فرنسية من المستوطنين الأوربيين الآن هو الانتقام لفشل حركتهم . تميز شتاء ١٩٦١ — ١٩٦٢ بالعنف . كانت تحدث أغتيالات كل يوم ليس فقط بالجزائر بل على أرض فرنسا نفسها ولكن

عهد الجزائر المستقلة قد بدأ . كانت قد تكونت فى سنة ١٩٦١ جماعة أرهابية أطلقت على نفسها اسم « المنظمة المسلحة السرية » وكان يرمزإليها بأحرف O.A.S. Organisation Armée Secrete وهدفها مقاومة أستقلال الجزائر بكافة وسائل العنف (استمرت من ١٩٦١ إلى ١٩٦٣) وبدأت تلك المنظمة الأرهابية تفجر قنابل البلاستيك فى شوارع باريس وتحاول أغتيال الجنرال دى جول بصفة خاصة ، كما قامت بعدة محاولات بالقنابل وأطلاق الرصاص على بعض الصحفيين وأساتذة الجامعات . أحدثت أحدى قنابل المنظمة أنفجاراً كبيراً حول سور الفيلا التى يسكنها أندريه مالرو نتج عنه أصابة طفله فى عينيها . استشاط الرأى العام فى باريس غضباً لأنه لا يفهم ما هو المقصود بهذا التيار الأرهابى . كثرت مظاهرات الأحزاب اليسارية وأصبحت الاشتباكات مع رجال الأمن أحداث كل يوم .

فى ٨ فبراير سنة ١٩٦٢ اشتبك المتظاهرون اليساريون مع رجال الأمن فى معركة عند محطة مترو « شارون » وكان اشتباكاً عنيفاً لا هدف منه أسفر عن قتل ثمانية وجرح حوالى المائة شخص من المتظاهرين ونقل عشرة من رجال الأمن إلى المستشفيات . كانت جنازة هؤلاء الثمانية القتلى من أكبر المظاهرات التى حدثت فى تاريخ فرنسا إذ أستجاب ما يقرب من نصف مليون شخص لنداء النقابات ليمروا أمام نعوش الضحايا وأطلقوا عليهم « شهداء شارون » .

كان على الحكومة أن تواجه هجمات المنظمة المسلحة السرية فبدأت معها معركة ضاريه ، وفى الجزائر القت قوات الأمن القبض على المئات وأستمر الجيش يحارب فى جبهتين ، جبهة الجزائريين من ناحية ، وجبهة المستوطنين من ناحية أخرى وهم الذين أصبحو يطلقون النار على كل من يرتدى ملابس عسكرية فرنسية .

المفاوضات مع الجزائريين :

فى ١١ فبراير سنة ١٩٦٢ بدأت المفاوضات فى بلدة « دى روس » وأحيطت بكتمان شديد . كان يمثل الجانب الفرنسى ثلاثة وزراء (جوكس —

بورون – دى برولى) ومن الجانب الجزائرى (كريم بلقاسم – سعد دحلب – لاخضر بن طوبال ومحمد يزيد) . أستمرت المفاوضات ثمانية أيام وكانت دقيقة فيما يخص بالضمانات التى تعطى للاوربيين وبتشكيل السلطة التنفيذية المؤقته التى كان عليها أن تعد لإجراء استفتاء تقرير المصير . فى هذه الأثناء كان السيد « بن خده » قد تولى رياسة حكومة الجزائر المؤقتة بدلا من فرحات عباس وعرض على المجلس الوطنى للثورة الجزائرية المنعقد فى طرابلس نتائج المفاوضات الأولى مع الفرنسيين .

أصبح مقرراً الآن الأفراج عن أحمد بن بيلا وزملائه الأربعة الذين قبض عليهم فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ولكن المظاهرات كانت مستمرة فى باريس والجزائر على السواء .

كانت الغالبية العظمى للرأى العام الفرنسى – مع التجائه إلى دى جول لإخراجه من الورطة الجزائرية (قدرت بثمانين فى المائة) لا ترى ما يراه دى جول . كانت هناك أقلية ترى بأن الاستقلال هو الحل الوحيد لإعادة السلام إلى الجزائر كما كانت هناك أقليه أيضاً ترى بأن الجزائر هى فرنسا وكانت الأغلبية العظمى لا تستقر على رأى فهى ترى بأن الجزائر فرنسية ولكنها لا تدرى كيف تستمر فرنسية ولا ترى مانعاً من المفاوضات . كان كلما قرب موعد السلام كلما ثبتت أيضاً خطوات أنصار أستقلال الجزائر وأصبح الرأى العام الفرنسى فى مجموعة مستعداً لقبول مبدأ أستقلال الجزائر والقضاء على المنظمة السرية المسلحة .

معركة الجزائر الثانية فى مارس سنة ١٩٦٢ . الأحداث تتوالى بسرعة والكل مجمع على أن شهر مارس سوف يكون شهر الحسم والجنرال دىجول يريد الآن أن تصل المفاوضات إلى حل . المنظمة االسرية المسلحة تنشر الأرهاب فى فرنسا والجزائر معا . فى ٢ مارس أغتالت المنظمة ٥٧ شخصاً فى الجزائر وحدها . فى ٥ مارس فجرت ١٢٠ قنبلة بلاستيك فى المدينة . وفى ٥ مارس سنة ١٩٦٢ أعلنت كل من باريس وتونس بأن المفاوضات الرسمية ستبدأ يوم ٧ مارس فى مدينة « ايفيان » .

فى يوم الأحد ١٨ مارس سنة ١٩٦٢ ظهر الجنرال شارل دى جول على شاشة التلفزيون الفرنسى ليعلن على الشعب الفرنسى بأنه قد أتفق على وقف أطلاق النار وانه أبتداء من اليوم التالى ستنتهى المعارك على كافة أراضى الجزائر . قوبل هذا الأعلان بالارتياح التام فى كافة أنحاء العالم فيما عدا الجزائر . فى ٢٣ مارس أغتالت المنظمة السرية المسلحة ضابطاً فرنسياً وخمسة من الجنود ولأول مرة أجاب الجيش الفرنسى باطلاق الرصاص وظل اطلاق الرصاص مستمراً من المنازل والشوارع طوال الليل وأسفر فى الصباح عن خمسة عشر قتيلا وسبعين جريحاً من الجنود وعن عشرين قتيلا وثمانين جريحا من المتمردين .

فى ٢٦ مارس عادت الاشتباكات وأسفرت عن قتلى كثيرين فى الجزائر وأدت حوادث الأرهاب التى تقوم بها المنظمة المسلحة السرية إلى وقوف الجيش ورجاله فى تصميم بجانب حكومة الجزائر الشرعية .

فى أول يوليه سنة ١٩٦٢ أجرى الاستفتاء لتقرير مصير الجزائر وأعلنت النتيجة وكانت ٩١,٢٣٪ للاستقلال ضد ٢٥,٪ ، ومعنى هذه النتيجة أستقلال الجزائر .

فى ٥ يوليه سنة ١٩٦٢ أعلن أستقلال الجزائر رسمياً وعلى غير ما كان متوقعاً لم يمس أحد من الأوربيين فى الجزائر بسوء . فى غمرة الفرح والغضب حدث أشتباك فى أوران بين جزائريين وأوربيين لم يعرف من الذى بدأه وأسفر الاشتباك عن خمسة وتسعين قتيلا ومائة ثلاثة وستين جريحاً ، وأصبحت الجزائر منذ ذلك التاريخ بالنسبة لفرنسا ذكرى فى تاريخها .

كان على مليون من الأوربيين أن يتركوا الجزائر بمحض أرادتهم ، نصفهم لم يسبق له أن رأى فرنسا فى حياته .

محاولة أغتيال دى جول :

كان هدف المنظمة السرية المسلحة — كما قلنا — هو محاولة اغتيال دى جول وكانت آخر محاولة لاغتيال دى جول قد تمت على طريق « كولومبى لوديز اجليز » يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ عند الفجر . إذ انفجرت

قنبلة زمنية بعد مرور سيارة الجنرال ببضع ثوان ، وكان الجنرال المتقاعد « سالان » قد أنكر وقتئذ كل علاقة لمنظمته الأرهابية بهذه المحاولة .

فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٢ وبعد أعلان أستقلال الجزائر بسبعة وأربعين يوماً حدثت محاولة أخرى خطيرة لاغتياله إذ بينما كان الجنرال وعقيلته وصهره فى السيارة هاجمهم عشرات الأرهابيين فى « بيتى كلامار » وأطلقوا عليه خلال عدة ثوان مائة وخمسين طلقة رصاص . نفذت رصاصة واحدة إلى السيارة ومرت على بعد سنتيمترات قليلة من رأس الجنرال ولكنه خرج سالماً هذه المرة أيضاً .

الجنرال دى جول والجبهة الداخلية :

فى اليوم التالى لإجراء الاستفتاء على أستقلال الجزائر أستقال رئيس الحكومة ميشيل دبريه من منصبه وخلفه سياسى لم يكن معروفاً من قبل هو جورج بومبيدو الذى لم يكن زعيما سياسياً ولا برلمانياً . بل كان وفياً للجنرال دى جول طول مدة أبتعاده عن السلطة وكان يعمل فى بنك روتشيلد بباريس .

تأكد دى جول بعد قليل بأن التطور الدستورى قد أدى إلى زيادة سلطة البرلمان ضد السلطة التنفيذية فاستعد لأزمة لا مفر منها بينه وبين البرلمان عند عودة البرلمان من عطلته الصيفية . ومنذ شهر سبتمبر قرر أختيار ميدان تلك المعركة بينه وبين البرلمان وصمم على تأمين مستقبل نظامه الدستورى بأن يجعل أنتخاب رئيس الجمهورية بالانتخاب العام المباشر . تقبلت الأحزاب خوض المعركة الدستورية على أساس أنها فى مصلحتهم . كانت وجهة نظر الأحزاب المعارضة هى أن التجاء دى جول إلى تعديل الدستور بواسطة الاستفتاء هو أعتداء على الدستور نفسه ، وكانت وجهة نظر دى جول هى أن الفرنسيين لن يرتضوا أن يتولوا هم بأنفسهم أنتخاب رئيس الجمهورية وأنهم يشعرون ولا شك بمقدرتهم على أن يتخذوا مكان البرلمان فى عملية كهذه .

فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢ قرر دى جول بأن الشعب الفرنسى سيقول

كلمته فى الاستفتاء ، وبينما كان الراديكاليون يرون بأن أنتخاب رئيس الجمهورية بمعرفة الشعب هو خيانة للدستور فقد رأى الشيوعيون فى هذه العملية عملية ديموقراطية تثير أهتمامهم ، فإن كان الأمريكيون ينتخبون رئيسهم فلماذا لا يفعل الفرنسيون نفس الشيء . أتخذت الأحزاب المعارضة من هذا الموضوع ذريعة لتصفية حسابها مع الجنرال دى جول بعد أن أصبحت مشكلة الجزائر أمراً منتهياً .

فى ٢ أكتوبر سنة ١٩٦٢ طرح نواب الحركة الجمهورية الشعبية والاشتراكيون الثقة بحكومة جورج بومبيدو ، وفى ٥ أكتوبر صوت المجلس باسقاطها فقرر دى جول حل المجلس .

فى ٢٨ أكتوبرسنة ١٩٦٢ أجرى الاستفتاء على أنتخاب رئيس الجمهورية بواسطة الانتخاب العام المباشر ونال دى جول نصراً كبيراً إذ أيده ١٣ مليوناً و ١٥٠ ألفاً وعارضه ثمانية ملايين تقريباً . وبذلك نجح دى جول فى تدعيم النظام الرئاسى وعدل الدستور فأصبح أنتخاب رئيس الجمهورية بالانتخاب العام المباشر . أستمر العمل بهذا النظام الجديد حتى الانتخابات التشريعية لسنة ١٩٦٧ ، وفى هذا الوقت أتجه تفكير الجنرال إلى البحث من جديد عن فلسفة جديدة . أراد أن يدمج النظام الرئاسى بالنظام البرلمانى وهنا أكتشف بأن رئيس الجمهورية والبرلمان يمكن أن يتحولا إلى خصمين فهل يذهب إلى إقرار نظام رئاسى على النسق الأمريكى إذا أريد المحافظة على أستقلال السلطة التنفيذية التى تشكل فى نظر دى جول أساس وجود الدولة وقياسها . لم تكن هذه الفكرة نتيجة رأى قانونى متحزلق ولكنها نتيجة خبرة دى جول نفسه بعد حياة طويلة عانى فيها كثيراً من المناورات البرلمانية وقد أستمع هو كما أستمع كل فرنسى إلى مناقشات لا نهاية لها فى أمور تدور حول نفسها ورأى رجالا على مستوى عال من المقدرة الإدارية والكفاية الذهنية يذهبون ولا يتمكنون من خدمة بلادهم فى شيء لأن نصف وقتهم ضائع فى إقناع آخرين متوسطى الفهم ولا قدرة لهم على التفكير السليم .

فى نهاية سنة ١٩٦٣ أعلن عمدة مرسيليا بأنه قد رشح نفسه ضد الجنرال دى جول فى أنتخابات الرئاسة التى ستجرى فى شهر ديسمبر سنة ١٩٦٥ ،

تكتلت بعض الأحزاب لتقديم مرشحين آخرين. تقدم للترشيح « فرانسوا ميتيران بتأييد من الاشتراكيين والشيوعيين كما تقدم عضو بمجلس السناتو أسمه « جان ليكانويه » . فى آخر لحظة أعلن دى جول ترشيح نفسه

أجريت أنتخابات الرئاسة يوم ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٥ وتبين بأن الجنرال لم يحصل إلا على ٤٤ ٪ من الأصوات ضد ٣٢ ٪ لفرانسوا ميتيران و ١٦ ٪ لجان ليكانويه » (لم يكن هذا السياسى معروفاً لدى الفرنسيين ولكنه حصل على أربعة ملايين صوت فى حملته الانتخابية التى دامت أقل من شهرين) وكان هذا الأخير هو السبب فى عدم نجاح الجنرال دى جول فى الجولة الأول لأن أغلبية الأصوات التى حصل عليها كانت من الديجوليين المتذمرين .

فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٦٥ أعيد الانتخاب بين دى جول وفرانسوا ميتيران، ففاز دى جول باثنى عشر مليوناً و ٦٤٥ ألف صوت ضد عشره مليون و ٥٥٧ ألف صوت لفرانسوا ميتيران ، وكانت هذه أول مرة منذ سنة ١٩٥٨ تحصل فيها المعارضة على أكثر من ٤٥ ٪ من أصوات الناخبين . شعر دى جول بأن الخطط الدستورية التى أقامها هو بدأت تتجه ضده ، ومع أن دى جول قد فاز برئاسة الجمهورية فى الانتخاب العام المباشر إلا أن معارضة قوية قد بدأت تتكتل ضده .

فى أوائل سنة ١٩٦٧ كان على الفرنسيين أن يتوجهوا من جديد إلى صناديق الانتخابات وقد أسمى المعلقون أنتخابات هذه المرة بالجولة الثالثة لانتخاب دى جول رئيساً للجمهورية وتثبيته فى منصبه وكانت الانتخابات التشريعية الجديدة . جورج بومبيدو رئيس الحكومة يجوب فرنسا يواجه فرانسوا ميتيران ومنديس فرانس ودى جول يلقى بكل ثقله فى المعركة الانتخابية .

فى ٥ مارس سنة ١٩٦٧ أجريت الانتخابات التشريعية التى أسفرت عن حصول حزب « تجمع الجمهورية الجديدة » المؤيد للجنرال على ٣٧ ٪ من أصوات الناخبين وأصبح أكبر الأحزاب الفرنسية . فاز فرانسوا ميتيران وكثير من مؤيديه بينما سقط بعض وزراء دى جول وهم موريس كوف

دى مورفيل وزير الخارجية وبيير مسمير وزير الدفاع والكسندر سانجوينتى وزير المحاربين القدماء ، وبذلك أصبحت أغلبية دى جول فى البرلمان الجديد أغلبية ضعيفة وأصبح لا أحد يدرى عما إذا كان النظام الذى أقامه دى جول سيكتب له البقاء بعد أن كاد المجلس يسقط حكومة جورج بومبيدو بعد أنعقاد المجلس الجديد بشهرين ولم ينقذها سوى ثمانية أصوات .

الجنرال دى جول والامبراطورية الفرنسية فى أفريقيا :

كان دى جول بعواطفه مع أفريقيا ، كانت مستعمرات فرنسا فى أفريقيا أول من أنضم إليه ما بين سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤٤ وأيدوه وآزروه وكان يريد فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٨ أن يجعلها فى رابطة واحدة ، ظل يتنقل فى أنحاء تلك المستعمرات لمدة عشرة أيام خلال ذلك الشهر ، أنتقل من مدغشقر إلى برازافيل ومن أبيدجان إلى داكار ، قوبل بحماس بالغ فى كل مكان ، كان يدعو إلى حكم ذاتى للمستعمرات وتجمعها رابطة أو أتحاد فرنسى ولكن فى داكار طالبوه بالاستقلال فوراً . عندما سمع دى جول الهتاف للمطالبة بالاستقلال أتجه إلى أحد وزارئه بجانبه متسائلا « ماذا يريدون ؟ الاستقلال هذا غباء . . ولكن على كل حال إن كانوا يريدون الاستقلال فليحصلوا عليه » . كان ليوبولد سيدار سنجور ، رئيس جمهورية السنغال السابق ، من أنصار أنضمام السنغال إلى الرابطة الفرنسية المقترحة .

أنتقل دى جول بعد ذلك إلى كوناكرى وكانت مقابلته لسيكوتورى لقاءاً مثيراً فقد تكلم سيكوتورى أمامه بلهجة شديدة ضد فرنسا أستعمل فيها ألفاظ الاستعمار والاستغلال ولكنه فى الوقت نفسه لم يغلق الأبواب للتفاهم . أجابه الجنرال دى جول فى بساطة وهدوء « أن فرنسا تقترح هذه الرابطة ولا تجبر أحداً على الانضمام إليها . . . الاستقلال تحت تصرف غينيا ويمكنها الحصول عليه يوم ٢٨ سبتمبر إذا أجابت بالرفض على الاقتراح الذى قدم إليها » . (يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ هو اليوم الذى حدد للاستفتاء على قيام الرابطة) . أجابت غينيا بالرفض يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨

وقامت الرابطة الفرنسية فى أفريقيا بدونها وظلت علاقتها بفرنسا بعد ذلك تسير من سىء إلى أسوأ .

فى ٣ فبراير سنة ١٩٥٩ عقد بباريس أول أجتماع للمجلس التنفيذى للرابطة الفرنسية ، ولكن حصول غينيا على أستقلالها الكامل شد أنتباه المستعمرات الفرنسية الأخرى فطالبت غالبيتها بالاستقلال . لم يرفض الجنرال ولم يقم العقبات بل صمم على أن تقدم فرنسا إليها معونات كبيرة فى كافة المجالات إذ كان يهدف إلى أن تصبح بلاد أفريقيا الناطقة بالفرنسية مرتبطة بفرنسا بروابط تاريخية وعاطفية وهو أكبر كسب لفرنسا بدلا من الإبقاء بالقوة على أمبراطورية تشع الكراهية من كل جوانبها لفرنسا .

الواقع أن سياسة دى جول هذه قد أدت مع مرور الوقت إلى بقاء تلك المستعمرات السابقة متعلقة تعلقاً شديداً بفرنسا حتى يومنا هذا فقد أرتبطت عواطفها فعلا بفرنسا ، وهى تتجه إليها فى حل مشاكلها المالية والثقافية والعمرانية واتخذت من فرنسا أما عن طيب خاطر وأصبحت فرنسا قبلة لكل أفريقى من بلاد امبراطوريتها القديمة ولم تبخل عليها فرنسا فلا تزال تفتح أبوابها لشعوبها وتمنحهم الامتيازات على أراضيها وتسوى بينهم وبين المواطنين الفرنسيين فى نواح عديدة وربطت عملتها بعملاتهم وكان الفضل فى كل ذلك لبعد نظر دى جول الذى أقام من مجموعه تلك الشعوب رابطة حقيقية تسودها المحبة والرأى السليم فى تبادل الخبرات والمصالح وجعل من الثقافة الفرنسية واللغة الفرنسية عامل أنسجام فى التكفير ودافع حضارى قوى وتبادل تجارى على مستوى رفيع من الأداء والتنظيم ، وقد لخص الجنرال دى جول كل ذلك فى كلمات بسيطة واضحة فقال « ان تكلمت بالفرنسية فستفكر على الطريقة الفرنسية وستشترى منتجات فرنسية » .

الجنرال دى جول وسياسته نحو أوربا :

بعد أن أنتهى دى جول فى سنة ١٩٦٢ من حل مشكلة الجزائر التفت إلى أوربا ، وأوربا لفظ غير محبب إلى نفسه فكان يشير إلى أوربا على الدوام بلفظ « القارة » .

فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٨ حضر إلى « كولمبى لوديز اجليز » (حيث يوجد مسكن دى جول الخاص) كونراد أديناور رئيس حكومة ألمانيا للتعرف على رئيس فرنسا ، الشخصية الاسطورية الجنرال دى جول : كان اديناور متردداً لأن ما سمعه عن دى جول كان يهيبه ، ولكنه أراد أن يلمس مدى ذلك بنفسه ، فما أن خرج أديناور من مسكن دى جول حتى قال « إن الجنرال ليس متعصباً لوطنيته ولكنه على إلمام تام بالموقف الدولى وأهمية العلاقات بين فرنسا وألمانيا » . كانت جملة تشمل أفكاراً ثلاثة تسجل صداقة البلدين . تأثر دى جول من ناحيته بمقابلته لأديناور إذ وجده عدواً للعسكرية البروسية وأنه لا يهدف من سياسته إلا أن تنتعش ألمانيا وأن تعيش فى سلام وأعترف بأن أديناور رجل دولة. كان البلاغ المشترك الذى صدر بعد المقابلة يعبر عما تقدم إذا جاء به « نحن نعتقد بأن العداوة التى قامت فى الماضى يجب أن تختفى كلية وأن الفرنسيين والألمان يجب أن يتعايشا وأن يعملا جنباً إلى جنب » . أستمرت العلاقات الودية بين الرجلين ونمت طوال بقائهما فى الحكم وأستمرت بين دى جول ولودفيج ايرهارد الذى خلف اديناور فى سنة ١٩٦٣ .

الواقع أن دى جول واديناور لم يكونا على أتفاق تام بشأن المستقبل إذ كان دى جول يريد التعاون بين ألمانيا وفرنسا ولكنه كان يعمل على الاسترخاء فى علاقات أوربا بأمريكا مع إبقاء التحالف الاطلنطى ووحدة أوربا ، لأنه كان يرى بأن الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بنفوذ فى أوربا أكثر من اللازم .

تغيرت سياسة دى جول نحو المانيا بعض الشىء منذ سنة ١٩٤٤ ، فقد كان فى سنة ١٩٤٥ يدعو إلى تجزئة ألمانيا إلى عدة أقاليم مستقلة ، وكان فى سنة ١٩٤٧ يعارض معارضة شديدة فى أنهاض المانيا وإعادة تسليحها ، ومنذ سنة ١٩٥٨ عمل بحذر لتدعيم الصداقة الفرنسية الألمانية .

فى ٢٢ يناير سنة ١٩٦٣ أمضى دى جول معاهدة الصداقة والتعاون بين فرنسا وألمانيا ، نشأت تلك الصداقة وهذا التعاون نتيجة لصداقة الرجلين دى جول وأديناور ، ولكن هذا التعاون أصابته بعد ذلك تقلبات إذ أن

دى جول كان يرى ايرهارد أقل حماساً من سلفه فى أن يكون أوربيا عن أن يكون عميلا للولايات المتحدة الامريكية ، ولذلك فأن سياسة التقارب بين البلدين قد نسفت من جانب وخمدت من الجانب الآخر ، ولكن مشروع أوربا الكبير لم يمت فقد أتخذ جورج كيسنجر خليفةايرهارد فىأواخر عام ١٩٦٦ طريقه إلى باريس ، ولكن الرجلان لم يجداً سوى القليل الذى يجمعهما . كان دى جول لا يزال مصمماً على رفضه دخول بريطانيا السوق الأوربية المشتركة ، والمفاوضات يشأن أوربا السياسية تتعثر .

دى جول والاتحاد السوفيتى :

فى سنة ١٩٦٦ قبل دى جول دعوة لزيارة موسكو . كانت الصورة الرسمية للزيارة بأنها رد لزيارة نيكيتا خروشوف لباريس سنة ١٩٦٠ ولكن دى جول كان يرمى إلى هدف آخر ، كان يعنى من وراء الزيارة أن وقت الستار الحديدى وعهد الحرب الباردة قد أنتهيا وليس هناك الآن شرق وغرب . فى لقاء واحد كان يرمى إلى القضاء على روح يالتا الذى يمقته لأن فى يالتا قسم العالم إلى قسمين ولم يكن هو موجوداً فى المؤتمر . عن هذا الموضوع لم تحققالزيارة نجاحاً إذ كان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية لايزالان يشعرانبقشعريرة الحرب النووية فى كوبا ولم يكونا على أستعداد لنسيان الدرس . كان التقارب يزداد كل يوم بينهما ، حتى أن حرب فيتنام لم تكن تباعدهما . كان دى جول يريد أن يتفاهم مع الروس على مشكلة ألمانيا ولكن الروس لم يكونوا على أستعداد لمناقشة المسألة الألمانية مع أياً كان إلا مع المسئول الأول فى العالم وهو الولايات المتحدة الأمريكية لأن المسألة الألمانية بالنسبة للروس هى أخطر المخاطر جميعاً لهم . على كل حال فإن تباعد الجنرال دى جول عن الولايات المتحدة الأمريكية هو أمر يتقبله الروس على أنه هدية غير مرفوضة من ناحيتهم .

دى جول وبريطانيا :

فى شهر أبريل سنة ١٩٦٠ زار دى جول لندن وأشاد بالشعب البريطانى وبالنظام السياسى البريطانى . كان دى جول يرىبأن التاريخ قد ربط بريطانيا

بالقارة الأوربية ولكن الجغرافيا فصلتها عن أوربا . كان يرى بأن المصالح الاقتصادية لبريطانيا توجهها نحو أمستردام وبروكسل وباريس ولكن اللغة تجذبها نحو شيكاجو وبوستون ونيويورك .

منذ سنة ١٩٥٨ والعلاقات بين بريطانيا وفرنسا تصطدم بسبب السوق الأوربية المشتركة وبسبب رابطة الشعوب البريطانية ومشاكل حلف الاطلنطى . فى أول الأمر رفضت بريطانيا الانضمام إلى السوق ولكنها رأت بعد ذلك أن سوقاً ضخمة تقوم على الطرف الآخر من ساحلها الجنوبى . قابل رئيس وزراء بريطانيا « هارولد ماكميلان » الجنرال دى جول عدة مرات وكان يعتقد بأن الوقت قد حان لكى تنضم بريطانيا إلى السوق وطالت المفاوضات ثمانية عشر شهراً . فى ١٤ يناير سنة ١٩٦٣ وفى أثناء مؤتمر صحفى لدى جول فى قصر الاليزيه التى دى جول بقنبلة إذ أجاب على سؤال لأحد الصحفيين عن هذا الموضوع بقوله « أن انجلترا جزيرة بحرية مرتبطة فى مبادلاتها التجارية وبأسواقها وفى تموينها ببلاد كثيرة مختلفة وغالبيتها بلاد بعيدة ، وهى تمارس نشاطاً أساسياً فى الصناعة والتجارة ونشاطها فى الزراعة ضئيل ، ولها فى كل هذا النشاط عادات وتقاليد خاصة بها ، أى أن طبيعة الملابسات وتكوينها التى تختص بها انجلترا تختلف عن تلك فى باقى القارات » فهم الجميع من هذا التصريح بأن دى جول يعتزم إغلاق أبواب السوق أمام بريطانيا .

فى سنة ١٩٦٤ عندما عادت حكومة العمال إلى تولى السلطة فى بريطانيا برئاسة هارولد ويلسون كان عليها أن تستمر فى قرع باب السوق لمدة ثلاث سنوات . كان دى جول يرى بأن السوق الأوربية المشتركة هى ميراث الجمهورية الفرنسية الرابعة التى لا تتفق وفكرة دى جول عن إعادة بناء أوربا ، ولكن دخول بريطانيا السوق كان يعنى بالنسبة لدى جول جسراً فى أوربا للولايات المتحدة الأمريكية . عادت المفاوضات الطويلة من جديد .

الجنرال دى جول والولايات المتحدة الأمريكية :

كان دى جول يعتقد بأن المسئولين الأمريكيين يرتكبون حماقة بعد

حماقة وكان لا يثق بالدبلوماسية الأمريكية التى كان يصفها بالسذاجة والخشونة ، كان يناوئ سيطرة الولايات المتحدة فى الوقت الذى كان يرى فيه بأن هذه السيطرة ضخمة أكثر من اللازم ، وفى الوقت نفسه كان يرى خطورة تجاهل موازين القوى إذ كان الاتحاد السوفييتى يمثل خطراً على العالم لرغبته فى بسط سيطرة الشيوعية على العالم ، ولذلك فهو يأخذ حذره دائماً من أن يذهب بعيداً فى مواجهة المسئولين الأمريكيين وهو لا يجهل بأنه إن حدثت مواجهة بين القوتين الكبيرتين فستجد فرنسا نفسها — على الأقل فى أوربا — جنباً إلى جنب الولايات المتحدة الأمريكية . فعندما نشبت أزمة كوبا صمم جون كيندى على أن يسحب نيكيتا خروشوف الصواريخ التى أقامها الاتحاد السوفييتى فى كوبا فوراً . كان دى جول أول رئيس دولة غربية يعلن تأييده لكيندى بينما كان العالم خلال تلك الأيام على حافة الحرب . الولايات المتحدة الأمريكية إذن دولة حليفة لفرنسا ، قالها دى جول لآيزنهاور عندما تقابلا وأعادها على مسامع كيندى فى باريس ولكنه فى الوقت نفسه يراها حليفاً ضخماً وهائلا أكثر من اللازم يسد على فرنسا كل المسالك ويعمل على أن يبسط سيادته على أوربا بينما لأوربا تاريخ طويل فى الخبرة الدبلوماسية . كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أن أوربا بالنسبة إليها تنتهى عند الستار الحديدى بينما كان دى جول يرى بأن التاريخ والجغرافيا وتيارات التبادل ستحطم هذا الستار الصناعى يوماً ما لأنه أقيم بين شعوب تعيش جنباً إلى جنب منذ قرون طويله .

كان دى جول يعادى سياسة الولايات المتحدة فى آسيا على وجه الخصوص . كان يفهم جيداً بأن آسيا لها أهميتها للولايات المتحدة كأهمية أوربا ولكنه كان يخشى أن تؤدى حماقة السياسة الأمريكية إلى قيام مواجهة لها مع الصين ، وكان يقدر بأنه إن قامت تلك المواجهة فإن دى جول سيستعمل كل ما فى وسعه حتى لا تجر فرنسا ولا أوربا إلى الاشتراك فى تلك المواجهة .

فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٩ استقبل الجنرال دى جول الجنرال آيزنهاور رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى قلعة رامبوييه بجوار باريس . كان الرجلان يعرفان بعضهما منذ وقت طويل وكان دى جول يحمل شعوراً طيبا لقائد جيوش الحلفاء الذى أخذ برأى دى جول مرتين ، المرة الأولى بشأن تحرير باريس سنة ١٩٤٤ والثانية بشأن عدم الانسحاب من ستراسبورج بعد أن أستعادتها قوات الحلفاء من يد الألمان .

عندما أغتيل جون كيندى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ توجه الجنرال دى جول إلى واشنجتون ليسير فى جنازة « أذكى السياسيين الذين ظهروا على مسرح السياسة الأمريكية منذ وفاة روزفلت » وعاد دى جول إلى باريس ليستمر فى سياسة فصل فرنسا عن منظمة حلف الأطلنطى بالتدريج . فى ٣٠ مارس سنة ١٩٦٧ غادرت فرنسا آخر القوات الأمريكية فى حلف الأطلنطى وتم نقل قيادة حلف الأطلنطى من فرنسا إلى ضواحى بروكسل . بذلك أسدل الستار على حقبة دامت ثلاث وعشرين سنة . وفى منتصف مارس سنة ١٩٦٤ قام دى جول بزيارة المكسيك لمدة أربعة أيام وألقى خطاباً فى جمهور بلغ عدده أكثر من نصف مليون نسمة .

فى خريف نفس العام قام بزيارة البرازيل والأرجنتين وشيلى وأورجواى وبعض دول أخرى فى أمريكا اللاتينية . قوبل بحماس شديد فى كل مكان . لم يكن هدفه من تلك الزيارات مهاجمة الولايات المتحدة الأمريكية ولم يكن بحاجة إلى إلقاء الخطب لذلك ، ولكن شعوب تلك البلاد قابلته بحماس جارف كرمز لمقاومة نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية .

فى سبتمبر سنة ١٩٦٦ زار دى جول كمبوديا ، على بعد كيلو مترات من فيتنام الدامية . ألقى خطباً أستنكر فيها تصرفات الأمريكيين فى فيتنام ؛ تقبلت واشنجتون كلام دى جول بالصمت لأن كيندى كان يرى فى دى جول حليفاً صاخباً فى حاجة لأن يهاجم الولايات المتحدة الأمريكية ليوطد سلطانه فى الداخل فضلا عن أن كيندى كان لا ينسى لدى جول

بأنه أول رئيس أكد له تأييده التام ابان أزمة كوبا ، غير أن ليندون جونسون ليس كيندى وموقفه مختلف فهو منغمس لأذنيه فى حرب فيتنام ولا يسمح لأن يلفت نظره رئيس دولة ساعدتها الولايات المتحدة الأمريكية على مدى ستة عشر عاماً وحاربت من أجل تحريرها ، ولذلك فقد فترت العلاقات بين فرنسا دى جول والولايات المتحدة الأمريكية ليندون جونسون.

لا ينكر أحد بأن الجنرال دى جول قد حقق لفرنسا أستقلالها ونالت فى عهده أحتراماً خاصاً فى أغلب دول العالم الثالث . كان يثير المتاعب للولايات المتحدة الأمريكية ولبريطانيا ولألمانيا ولكن ذلك كان لا يهم دى جول فى كثير طالما أن تلك السياسة تؤدى إلى مصلحة فرنسا وتضعها فى المكان الذى يريد دى جول أن يضعها فيه وهو أن تكون فى الصف الثانى على أن تكون على رأس الدول التى تكافح تقسيم العالم إلى معسكرين .

دى جول والقنبلة الذرية :

لم يكن دى جول هو الذى أكتشف القنبلة الذرية لفرنسا ، بل أنه وجدها عندما تولى السلطة فى سنة ١٩٥٨ . غير أن دى جول هو الذى ربط فرنسا برباط شديد بسياسة التسليح النووى وحجته فى ذلك هو أنه ليس هناك أستقلال ممكن بدون قوة عسكرية ، وأن القوة العسكرية بعد هيروشيما هى القنبلة الذرية . كان دى جول يعترف بمبدأ خطورة الأسلحة النووية على البشرية وكان على أستعداد لإيقاف جهوده فى الميدان النووى بشرط أن تبدأ الدولتان الكبيرتان بإيقاف تجاربهما . ونظراً لأن الدولتين لا تعتزمان إيقاف تجاربهما فإنه يرفض مرة أخرى روح أتفاق يالتا أى تقسيم العالم إلى إلى منطقتى نفوذ بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ويضع الأسس لجيش نووى لفرنسا .

أختلفت الآراء ووجهات النظر كثيراً حول هذا الموضوع فى فرنسا . اليسار الفرنسى ، الشيوعيون والاشتراكيون ينادون بأن تحجم فرنسا عن أتباع سياسة عسكرية يعتبرونها مخربة لفرنسا . ترد الحكومة على ذلك بأن هذا ليس صحيحاً لأن ميزانية الدفاع فى أنخفاض سنة بعد أخرى منذ عام ١٩٥٨ . يجيب اليسار الفرنسى على ذلك بأن قوة الردع الفرنسية

ستكون عديمة الفائدة والتأثير ، وتجيب الحكومة بأنه بعد بضع سنوات ستمتلك فرنسا قوة نووية كافية لردع أى مهاجم. يقول اليسار بأن علماء فرنسا يشتغلون فى أبحاث لا طائل من ورائها لأنها تتعلق بمحاولة اللحاق بموسكو وواشنجتون اللتان سبقتا فرنسا بمقدار عشرين سنة فى تلك الأبحاث . تقول الحكومة أنه بجعل فرنسا قوة نووية فإنها تعطى دفعة ثابتة للأبحاث فى ميدان الذرة التى ستقرر مصير عالم الغد ، وبينما كانت تلك المناقشات دائرة كانت التجارب النووية الفرنسية مستمرة فى الباسفيك وكانت أولى الصواريخ النووية الفرنسية تنطلق فى تجارب بالصحراء الكبرى .

أفول نجم دى جول :

كان دى جول يعتقد بأنه طالما لم يحقق العدل الاجتماعى للشعب الفرنسى ويقيم المجتمع الفرنسى على أساس العلاقات الإنسانية الاجتماعية فإنه يكون قد وصل فقط إلى منتصف الطريق إلى هدفه . بدأ دى جول منذ منتصف سنة ١٩٦٧ يوجه إلى زائريه نفس السؤال الذى كان لينين يطرحه على أعوانه « ما العمل » ؟ لم تكن المعارضة التى تكتلت ضده تقلقه ، لم يكن الحزب الشيوعى هو الذى يقلقه لأنه كان يعتبره خصماً يستحق الاحترام ولكن كان الذى يقلق باله وتفكيره هو الانفصال التام بين طبقة العمال وبقية طوائف الشعب . كان يسأل زعماء النقابات الذين يزورونه «ماذا كنت تفعل لو كنت مكانى ؟ » كما كان يسأل كبار المثقفين « ما هو رأيك ؟ » كان شعور دى جول بأن المثقفين لا يحبونه فتأصل هذا الأحساس فى نفسه وتعود على تقبله، كان يرى بأن المثقفين يكتفون بأن يطلقوا الشعارات ويكررونها دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة فهم تطور العالم والبحث عن حلول لمشاكل هذا التطور وكان دى جول بطبيعته يمقت الرأسمالية ويسميها « عالم التجار » ، كان بتأمله وتفكيره يكره النظام الشيوعى الذى لا يمكن للإنسان أن يعيش فيه إلا بالخضوع .

أراد دى جول أن يفلسف حكمه فكان يناقش أصدقاءه وأعوانه من أنصار اليسار مثل « رينيه كابيتان » ولويس فالون . لم يترك صاحب

رأى مرموق إلا وناقشه وأستمع إليه ، بل كثيراً ما أستقبل سراً فى قصر الأليزيه أحد أعوانه القدامى الأوفياء « بيير ليبران » الذى كان فى وقت من الأوقات سكرتيراً عاماً للاتحاد العام لعمال فرنسا حتى يلم إلماماً تاماً بتفكير النقابيين .

لم يصل دى جول فى تأمله وتفكيره إلى نتيجة إلا بالنسبة لنقطة واحدة وهى أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش من ثمان إلى عشرة ساعات يومياً وخمسة أو ستة أيام أسبوعياً بلا هدف بالنسبة لعمله فهو إما يحب عمله أو يكرهه وربما حمل الشعورين معا ، ولكن بين هذا الجزء الأساسى من نشاط الإنسان والمعنى الذى يعطيه لحياته يجب أن يحدث تلاحم أو توافق وإلا فإن النظام الاقتصادى سينهار كما أنهار النظام السياسى للجمهورية الرابعة . الحل النظرى لهذه المشكلة سهل وهو أنه يجب على من يعمل أن يتحمل مسئوليات ، ولكن السؤال الذى بقى بدون جواب هو أين ؟ وكيف ؟ لقد حلت روسيا المشكلة بحيلة مشعوذة وهى نظرية إذابة الطبقات وفرض نظام حديدى صارم ونشر دعاية مكثفة مستمرة تكرر على مسامع العمال بأن الدولة هى ملك لهم ، غير أنه فى ميدان السياسة لا يمكن ممارسة الشعوذة ، فالروس الآن يدفعون ثمن النظام الذى أخترعه البلشفيك أختراعاً مبنياً على فقدان الحريات الأساسية للفرد وأدى إلى تخلف أنتاجهم الصناعى وأنتاجهم الزراعى ، ولذلك فلم ير دى جول بأن النظام الروسى هو الطريق السليم .

الأمريكيون بطريقتهم الخاصة يتقدمون على طريق آخر وهو تعميم ملكية العمال فى المصانع لجزء من أسهم الشركات التى تملك تلك المصانع ، وهذا النظام بالنسبة لدى جول نظام تمويه فليست ملكية جزء من الأسهم هى التى تسمح حقيقة للعمال بأن تكون لهم كلمة مسموعة داخل الشركة ، والشركة هى أساس العالم الصناعى . وصل دى جول إلى أنه يجب إيجاد حل فرنسى يأخذ فى الاعتبار المزاج الخاص للشعب الفرنسى يتفق ومحبة الفرنسى للعمل وتذوقه للتذمر ويتفق أيضاً بين هوايته للادخار وحاجته المستمرة للتصور والخيال .

فى سنة ١٩٦٦ أهتدى دى جول إلى نظام « لجان المؤسسات » وقوى من سلطاتها وأدخل مبدأ المشاركة والانتفاع الذى يسمح للعامل النظامى أن يحصل على نسبة معينة من أرباح المؤسسة بعد خمس سنوات من العمل . لكن هذا لم يكن له أهمية بالنسبة لدى جول إذ رأى بأن هناك مجالا آخر لفلسفة الحكم وهو نظام « المناطق » . أهتدى إلى هذا النظام أحد وزراء دى جول وهو « أوليفييه جيشار » وظل يشرح لدى جول مزاياه لكى يخفف من تركيز السلطة فى باريس ولكى يشعر كل مواطن فرنسى بأنه مشارك فى تحمل مسئولية إقرار ما يعمل . يجب إذن إلغاء تقسيم فرنسا إلى محافظات ، هذا التقسيم الإدارى القديم الذى ينبع من تفكير نابليون ، واستبداله بنظام المناطق » ذوات المجالس المنتخبة وهو نظام ، قال عنه دى جول « حتمى أقتصادياً وضرورة سياسية » بعد تردد طويل قبل دى جول أن يدخل معركة لتطبيقه . كان حذراً فى البداية إذ عرض الفكرة لأول مرة فى خطاب له بمدينة ليون يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٦٨ . أستعمل دى جول كلمة « مشاركة » تعبيراً عن وجهتى المحاولة الجديدة ، فالمواطن يمكنه أن يشترك ، حسب دى جول ، فى حياة المؤسسة التى يعمل بها ويشترك أيضاً فى حياة المنطقة التى ينتمى إليها . كان دى جول يعلم بأن تطبيق النظام المقترح يستلزم مسيرة طويلة ، مسيرة قد تكون أطول من كل مسيرة سابقة منذ عام ١٩٤٠ ولذلك فهو بحاجة إلى الوقت . دى جول فى حاجة إلى الوقت وقد مضى عليه فى السلطة عشر سنوات وغطى ظله فرنسا بأكملها منذ ثمانية وعشرين عاما ، ولكن كان على دى جول العملاق أن يصارع الشيطان الآن ، والشيطان هذه المره اسمه دانييل كوهين — بنديت » عمره ٢٣ سنة ، كان طالباً بكلية آداب جامعة نانتير ، ماركسى العقيدة ، مناهض للشيوعية لأن الشيوعيين جميعاً — كما يقول — « أنذال ستالينيه » . نانتير ضاحية غرب باريس ، أعضاء بلديتها من الشيوعيين ، جامعتها جديدة ، تحوطها منازل متواضعة يسكنها عرب من شمال أفريقيا ، طلبتها يشعرون بالضياع فى هذه الضاحية الفقيرة ، أبتدع أساتذتها أسلوباً حديثاً فى التدريس الجامعى وكأنها ثورة فى التعليم الجامعى . كان الطالب يقف على مستوى واحد من الأستاذ يناقشه الرأى

ويجادله : كانت أوساط الطلبة بتلك الجامعة مطعمة منذ بضع سنوات بعناصر يسيطر على تفكيرها حب الثورة ويبحثون عن وسائل تفكير لهم من بين آراء كارل ماركس :

فى ٢٢ مارس أحتل جماعة من الطلبة قاعة مجلس كلية الآداب بالجامعة بزعامة دانييل كوهين بنديت الذى كان يتميز بين زملائه بخطبه الحماسية البليغة وصراخ حنجرته القوى واطلقت تلك الجاعة على نفسها اسم « يساريو نانتير » .

فى ٢ مايو هاجم الطلبة مبانى الجامعة وألقوا بملفات الإدارة من النوافذ وكانت أول مرة يحاول فيها الطلبة أحتلال مبانى الجامعة وطرد الأستاذ المحاضر من المدرج بحجة أن لديهم فيلماً سينمائياً عن أحدى الثورات فى مكان ما من العالم ويريدون مناقشة ما ورد به من أحداث . أمام هذا التصرف أصدر عميد الجامعة أمراً بتعطيل الدراسة لحين أشعار آخر وفى اليوم التالى أحتل رجال الأمن مبانى الجامعة وبذلك بدأت المعركة ، وامتد الغضب إلى الحى اللاتينى فى باريس وأصطدم الطلبة برجال الأمن حول السوربون فلجأ البوليس إلى إخلاء الجامعة وإغلاقها .

لم يتردد دى جول فى تحدى الطلبة فى حرم الجامعة . تمكن « دانييل كوهين بنديت » من تزعم مظاهرة طلابية مساء يوم ١٠ مايو من عشرين ألف طالب تحدت رجال الأمن بأن طلبت رفع الحصار عن مبانى الجامعه . أمر مدير أمن باريس رجال الأمن برد هجوم الطلبة على الجامعة بالقوة وأستمر الاشتباك حتى الفجر وأسفر عن ٣٦٧ جريحاً و ٤٦٠ طالباً قبض عليهم رهن التحقيق و ١٨٨ سيارة محطمة منها ستون أحرقت تماماً وأصبح الحى اللاتينى بباريس وكأنه ساحة معركة .

فى ١١ مايو سنة ١٩٦٨ قررت النقابات العمالية أن يكون يوم ١٣ مايو يوم أضراب عام يصحبه مسيرة رهيبة . قامت مظاهرة من مليون شخص تسيرفى شوارع وسط باريس . كان رئيس الوزراء جورج بومبيدو منذ ٢ مايو فى زيارة رسمية لإيران وأفغانستان فعاد إلى باريس

ورغماً عن تردد دى جول فى الموافقة على إعادة فتح الجامعة فقد أمر بومبيدو بإعادة فتحها . فى اليوم التالى لإعادة فتح الجامعة سافر دى جول إلى رومانيا فى زيارة رسمية تاركاً الدولة فى أيدى رئيس وزرائه جورج بومبيدو ، كان ذلك تحولا خطيراً ، لقد بدأ نجم دى جول فى الأفول وبدأ نجم جورج بومبيدو فى الصعود .

توالت الأحداث ، حول الطلبة مبانى الجامعة إلى مركز للثورة وفى ١٥ مايو سنة ١٩٦٨ أعلن عمال مصانع رينو الأضراب وأحتلوا المصنع . فى بحر بضعة أيام ولأول مرة توقفت كل فرنسا عن العمل إذ امتدت حركة الإضراب من مصنع إلى آخر ومن بلد إلى بلد ولم تبق طائفة لم تشترك فى الإضرابات سوى طبقة الفلاحين ، انها ثورة حقيقية أصابت البلاد من أولها إلى آخرها بالشلل حتى موظفو الراديو والتليفزيون وعددهم قرابة الثلاثة عشر ألفا أضربوا واحتلوا مبنى الإذاعة . كانت الشكوى العامة للعمال والموظفين هى انخفاض الأجور عن مستوى نفقات المعيشة ولم تتمكن النقابات من السيطرة على أعضائها .

فى ١٨ مايو عاد دى جول من رومانيا وبعد بضعة أيام ظهر للفرنسيين على شاشة التليفزيون يعرض عليهم إجراء أستفتاء عن نظامه المقترح الذى أسماه . « المشاركة » . فى هذه المرة لم يجد كلام دى جول طريقاً إلى نفوس الفرنسيين إذ أنه فى ٢٧ مايو عادت مظاهرات الطلبة واشتركت معهم فيها الأحزاب اليسارية التى تآلفت مع بعضها بسرعة لاقتسام الغنيمة إذا ما سقط دى جول وتوالت الأحداث الرهيبة وأصبحت الدولة فى ركود تام بعد أن تسلم الشارع السلطة .

قبل ظهر يوم الأربعاء ٢٩ مايو ، وهو اليوم الذى حدده الاتحاد العام للعمال لمسيرة ضخمة ، ترك الجنرال دى جول قصر الأليزيه إلى مكان مجهول دون أن يخطر أحداً ، وبعد الظهر كان هناك نصف مليون عامل وكأنها تعبئة عامة ، يسيرون فى الشوارع الرئيسية بوسط باريس فى نظام رهيب ، ولأول مرة منذ سنة ١٩٣٦ أمر الحزب الشيوعى أتباعه بأن

يرفعوا الأعلام الحمراء . غالبية الشعب الفرنسى هالها رؤية تلك الأعلام وفجأة بدأت تبحث عن الجنرال .

فى المساء عرف أين يوجد الجنرال . فى اليوم التالى توجه دى جول إلى الإذاعة وبصوت ثابت ولهجة صارمة أعلن حل المجلس الوطنى (البرلمان) وحدد يومى ٢٣ و ٣٠ يونية لإجراء أنتخابات تشريعية جديدة ، وقرر إبقاء الحكومة فى السلطة ،وأعلن بأن النظام سيحترم وأنه لن يتخلى عن الحكم . قامت مظاهرة ضخمة تؤيد دى جول . رأى الطلبة بأنه لم يبق لهم إلا أحترام النظام والالتجاء إلى الحوار فأقلعوا عن أعمال العنف . بدأت المفاوضات بين الاتحاد العام للعمال ورئيس الحكومة وبعد عدة أسابيع توصل الطرفان إلى الاتفاق وتقرر عودة العمال إلى أعمالهم .

وكانت الانتخابات التشريعة يومى ٢٣ و ٣٠ يونية نصراً حاسماً لدى جول . فقد تأحزاب اليسار أكثر مقاعدها كما خسرت أحزاب الوسط ، وأصبح لدى جول بالمجلس الجديد ثلاثمائة مؤيد .

عين دى جول « موريس كوف دى مورفيل » رئيساً للحكومة خلفاً لجورج بومبيدو . كوف دى مورفيل ثالث رئيس وزراء فى عهد الجمهورية الخامسة وكان وزيراً للخارجية فى الحكومة السابقة .

حاول موريس كوف دى مورفيل إصلاح الموقف دون فائدة فقد كانت أحوال البلاد قد وصلت إلى درجة كبيرة من التعقيد ، ارتفعت الأجور أرتفاعاً ضخماً نتج عنه تضخم نقدى كبير وبدأ سعر الفرنك فى الهبوط فى أسواق النقد الخارجية ، وما أن حل الخريف حتى بدأت رؤوس الأموال تهرب من فرنسا واضطرت الحكومة إلى تخفيض سعر الصرف للفرنك .

عاد دى جول من جديد يقترح إجراء أستفتاء على مشروعه الخاص « بالمشاركة » وأعد بياناً طويلاً عن المشروع . دارت المعركة بشأن المشاركة وتقسيم فرنسا إلى مناطق فى جو غريب . لقد أعطى الفرنسيون لدى جول — منذ ثمانية أشهر فقط — أغلبية فى المجلس التشريعى لم يسبق

لأحد من رؤساء فرنسا أن حصل عليها فى مجلس تشريعى والآن يبدو هذا الرئيس عاجزاً عن السيطرة على مظاهرات طلابية وتهدئة النقابات وإعادة الثقة فى الفرنك . كان رئيس وزراء دى جول الجديد المسيو موريس كوف دى مورفيل شخصية محبوبة ولكنه لم يكن حازماً . طلب الجنرال دى جول هذه المرة من الشعب الفرنسى أن يدلى بأصواته...ولكن على أى شىء . . . على نظام جديد يقضى بتقسيم الدولة إلى مناطق لم تفهم الأغلبية العظمى من الشعب ما هو المقصود منها إذ لم يكن البيان الذى صدر عنها كافياً لإفهام تلك الأغلبية الهدف من هذا النظام المقترح ولا فائدته ، فهل قصد دى جول أن يحصل من جديد على تأكيد بأن الشعب الفرنسى يريده أن يستمر رئيساً للدولة . هل كان دى جول يشعر بأن الشعب قد بدأ يتململ من حكمه ولذلك فقد قرر بأنه خير له أن يهزم بصراحة عن طريق الاستفتاء — الأداة التى أستعملها على الدوام — على أن يبقى على رأس الدولة ضد رغبة غالبية الشعب ! إن أنتصر فسوف يؤكد سيطرته وسلطاته وإن هزم فسيظهر للفرنسيين بأن الاستفتاء هو أداة سليمة للديموقراطية السليمة :

أجرى الاستفتاء فى ٢٧ مايو سنة ١٩٦٩ وأعلنت نتيجته فى المساء وكانت هزيمة لدى جول إذ رفض أحد عشر مليوناً وتسعمائة وخمسون ألفاً مشروعه وقبله عشرة ملايين وخمسمائة ألف فرنسى .

طبقاً للدستور الذى وضعه دى جول نفسه كان عليه أن يترك الحكم ولذلك فقد أعتبر نفسه مستقيلا منذ أن أعلنت نتيجة الاستفتاء . بعد منتصف الليل بقليل صدر بيان عن الجنرال دى جول جاء فيه « أننى أتوقف عن ممارسة مهامى كرئيس للجمهورية وأن هذا التوقف يصبح نافذاً ابتداء من اليوم عند الظهر » .

غادر الجنرال دى جول قصر الاليزية إلى مسكنه فى « كولومبى لوديز اجليز « ليبدأ حياته الخاصة كمواطن فرنسى عادى .

الجنرال دى جول فى عزلته :

عرف دى جول المنفى فى لندن والسلطان فى باريس وقد انتهى الآن كل

شيء وأصبح سلطانه يمتد على امبراطورية صغيرة جدا فى حجمها تسكنها الطيور والأشجار وتملؤها ذكريات بعد أن أراح نفسه من مشاكل الشعب والحكم ، فهو فى الصباح يمشى بين الأشجار ويستمع إلى نداء الطيور ويجلس بعد الظهر ليدون مذكراته ، ويجلس فى المساء ، كما يفعل ملايين الفرنسيين ، لمشاهدة التليفزيون ينتقدون برامجه ويندون بتفاهة ما يقدمه لهم : لكن الجنرال كان يسرع فى تدوين مذكراته لتكون للفرنسيين سجلا للتاريخ.

رفض دى جول أن يشترك فى أى احتفال فى أية مناسبة ، حتى أنه تعمد أن يغيب عن فرنسا فى مناسبة ١٨ يونيه من عام ١٩٦٩ إذ سافر بصحبة زوجته فى مايو سنة ١٩٦٩ إلى إيرلندا دون أن يخطر أحداً . وفى يونيه سنة ١٩٧٠ سافر دى جول إلى أسبانيا لزيارتها وقابل يوم ٨ يونيه الجنرال فرانكو الذى كان صديقاً حميماً للماريشال فيليب بيتان . عندما قابل دى جول فرانكو بادره بجملة ذات مغزى ، قال له « أنت الجنرال فرانكو ، شيء على كل حال ، أما أنا فقد كنت الجنرال دى جول » .

كان دى جول يفكر فى زيارة الصين وكان يأمل أن يتقابل الجنرال دى جول مع الرئيس ماو فى مكان ما على ظهر الكرة الأرضية قبل نهاية الألف سنة الثانية من مولد المسيح ، لذلك قرر أن يقوم بهذه الزيارة فى سنة ١٩٧١ ان امتد به العمر .

وفاة الجنرال دى جول :

استيقظ الجنرال دى جول فى صبيحة يوم ٩ نوفبر سنة ١٩٧٠ ليقوم بنزهته الصباحية فى حديقة مسكنه . فى الساعة السابعة مساءاً جلس على الكرسى الذى أعتاد أن يجلس عليه أمام جهاز التليفزيون مساء كل يوم فى أنتظار نشرة الأخبار وبيده مجلة يقلب صفحاتها وفجأة شعر بآلام حادة فى صدره فطلب أستدعاء طبيب العائلة الدكتور « جى لاشينى » . عندما وصل الطبيب كان القضاء قد حم ، دخل دى جول فى غيبوبة وبدا الألم على وجهه ، تبين للطبيب بأن التنفس قد توقف ولم يكن هناك شيء يمكن عمله ، وما هى إلا بضعة دقائق حتى أسلم الجنرال دى جول روحه .

طلبت قرينة الجنرال دى جول عدم إذاعة الخبر حتى تستدعى أفراد العائلة ، ولما حضر الجنرال « دى بواسييه » زوج ابنته « اليزابيث دى جول » قام بابلاغ النبأ إلى رئيس الجمهورية جورج بومبيدو وكانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحا . فى السابعة صباحا كان النبأ قد عرف على مستوى المسئولين ، وفى التاسعة إذاع الراديو النبأ الحزين رسمياً على الشعب الفرنسى الذى تقبله بدهشة إذ كان الجنرال يبدو وهو فى أتم صحة .

وصية دى جول :

كان دى جول قد حرر وصيته فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٢ ووضعها فى مظروف محكم الغلق وسلمه إلى جورج بومبيدو وكتب على المظروف « من أجل الجنازة » بادر بومبيدو بفض المظروف وإذاعة نص الوصية ؛ كانت الوصية تحتوى على ما يلى : « أريد أن تكون جنازتى فى قرية كولومبى لوديز اجلين » أن قبرى سيكون حيث دفنت ابنتى آن وحيث ستدفن زوجتى يوما ما . أريد أن يكتب على القبر شارل دى جول ١٨٩٠ . . . . ولا أريد غير ذلك . أريد أن ينظم حفل الجنازة بمعرفة أبنى وأبنتى وزوجها وزوجة أبنى بمساعدة أفراد مكتبى بحيث يكون الاحتفال غاية فى البساطة . لا أريد جنازة وطنية ، لا أريد أن يشترك فيها لا رئيس الجمهورية ولا وزراء ولا أعضاء مكتب المجلس الوطنى (البرلمان) ولا أعضاء المؤسسات الدستورية . يمكن أن تشترك أسلحة القوات الفرنسية رسمياً وأن يكون أشتراكها هذا بصورة رمزية جداً بدون موسيقى ولا أعلام ولا أجراس . لا أريد خطباً لا فى الكنيسة ولا فى أى مكان آخر . لا أريد رثاءاً فى المجلس الوطنى (البرلمان) لا أريد أن يكون هناك مكان أثناء الجنازة إلا لعائلتى ولرفاق أعضاء وسام التحرير ولاعضاء مجلس بلدى كولومبى لوديز اجلين . يمكن لرجال فرنسا ونسائها ، إن أرادوا ، مع غيرهم من البلدان الأخرى ، أن يحيوا ذكراى بمصاحبة جثمانى إلى مقره الأخير على أن يكون ذلك بمنتهى الهدوء الذى أرجوه منهم . أننى أرفض من الآن أى تكريم من أى نوع ، أرفض أية ترقية أو إشادة أو أوسمة سواء أكانت

فرنسية أو أجنبية وإن منحت لأسمى أياً منها فأن ذلك سوف يكون ضد رغباتى الأخيرة » .

فى صباح يوم إعلان نبأ الوفاه أجتمع مجلس الوزراء الفرنسى وقرر أن يكون يوم الدفن يوم حداد وطنى .

مرة أخرى أخذت أفواج لا حصر لها من الفرنسيين ، كأمواج البحر ، تزحف إلى كولومبى لوديز اجليز لتحية الشخصية الاسطورية للمرة الأخيرة . أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية المستر نيكسون بأنه قادم إلى باريس وأخذت برقيات العزاء تنهال على قرينة الجنرال من كل أنحاء العالم ، من كافة الملوك ورؤساء الجمهوريات ، وبلغ عدد رؤساء الدول الذين قرروا الحضور إلى باريس ثمانون رئيساً .

كان هناك سؤال لم يكتبه دى جول فى وصيته ولكنه ولا شك كان يدور فى خلده وينتظر من الفرنسيين أن يجيبوا عليه فى ذلك اليوم وهو « لرجال فرنسا ونسائها أن يقولوا إن كنت قد قمت بخدمة هذه البلاد خدمة مرضية » . كانت إجابة رجال فرنسا ونسائها واضحة جلية فقد توقفت فرنسا بأكملها لتحيي دى جول وهو فى طريقه إلى مثواه . أحتشد ملايين الفرنسيين فى كافة الطرق المؤدية إلى كولومبى لوديز اجليز وحول كنيسة نوتردام حيث أقيمت صلاة الجنازة على روحه ومن لم يتمكن من الخروج إلى الشوارع والطرقات وقف أمام أجهزة التليفزيون ليشاهد دى جول للمرة الأخيرة . قدر عدد الذين حيوه وودعوه بخمسمائة مليون شخص على شاشات أجهزة التليفزيون فى كافة أرجاء الأرض وهو يوارى مقبرته المتواضعة فى كولومبى لوديز اجليز . قيل إن وداع دى جول قد شد سكان الأرض إلى أجهزة التليفزيون بما لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشر إلا حادثين ، أولهما نزول الأمريكيين على سطح القمر ، وثانيهما الألعاب الأولمبيه الدوليه .

فى مساء يوم الجنازة هطل مطر غزير على باريس ولكن مئات الألوف

من الباريسيين ساروا فى مسيرة صامتة إلى قوس النصر فى ميدان « ليتوال » ليضعوا الزهور على قبر الجندى المجهول .

ماذا كان يدور فى خلد الفرنسيين بعد أختفاء دى جول ، لا يعرفه أحد ، ولكن فى خلد الرجال والنساء الذين بلغوا الأربعين هو صفحة من تاريخ فرنسا قد طويت ، هذه الصفحة بدأت بالهزيمة الرهيبة والتعاون المظلم مع الألمان ثم النهوض لبناء فرنسا من جديد . لن ينسى الفرنسيون تلك العاصفة الجزائرية التى هددت فرنسا بحرب أهلية ضارية وفوق كل هذا كفاح رجل فرنسى عظيم من أجل أن تكون فرنسا رائدة الحضارة فى أوربا.

أما بالنسبة لشباب فرنسا فقد ثاب إلى رشده وأدرك بأن دى جول لم يكن كما كان هذا الشباب يتصوره رجلا عجوزاً يتربع بصفة دائمة على رأس الحكم فى فرنسا . أيقن هذا الشباب الآن بأن دى جول شخصية اسطورية بدأ وهو فى سن الخمسين ، السن الذى يركن فيه الكثيرون إلى التمتع بمباهج الحياة ، ليكافح من أجل مستقبل بلاده ومن أجل هذا الشباب ويتعرض فى سبيل ذلك لآلاف المخاطر وتنتابه كل يوم عشرات الانفعالات . لقد أعتاد الشباب الفرنسى أن يبحث عن الأبطال الثوريين فتنبهوا فجأة فى ذلك اليوم بأنهم قد نحوا جانباً بطلا شامخاً من هؤلاء الأبطال ولم يشعروا بهذه الخسارة الفادحة إلا يوم أن أختفى عن الأنظار .

الجنرال دى جول شخصية أسطورية فى تاريخ فرنسا الحديث :

كان لدى جول وجه تحررى جمهورى ثابت ووجه محافظ وكان مفهومه للديموقراطية يتشكل على هذه الصورة الواضحة فيه . لم يكن يتحمل أن يروض نفسه على التآلف مع قاعدة دستورية تضع السلطة فى يد البرلمان ، بل كان يؤمن بأن السلطة التنفيذية هى القوى المحركة للدولة وعلى رأسها رئيس الجمهورية . الدولة بالنسبة له هى الشعب ثم البرلمان ثم الحكومة وأخيراً رجل يحرس القانون والوطن ، ولهذا الرجل الحارس الحق فى أن يلجأ إلى الشعب يستفتيه فى أى أمر يقدر هو أهميته . حول هذه النقطة دار النزاع دائماً بين دى جول وخصومه من البرلمانيين فهم يتهمونه بأن

سياسته هى سياسة «السلطة الشخصية» وبالنسبة لدى جول «فليست هناك سلطة غير شخصية ، والتاريخ شاهد على أن الشخصية القوية تسيطر على البرلمان فإن لم تنجح فى السيطرة على البرلمان قضى البرلمان عليها » . بالنسبة لخصوم دى جول هذا المفهوم لمهمة البرلمان لا يمكن قبوله ولا أحتماله لأن البرلمان هو الحوار وبعد الحوار الاتفاق والاتفاق هو جوهر النظام الديموقراطى ، وأن أى بشر يتمتع بمفرده بسلطات واسعة ينتهى به الأمر إلى الاستهانة بمصالح الشعب وفرض إرادته عليه ، وأن السلطة تفسد والسلطة المطلقة تخرب . كانت هذه مناقشة بين دى جول وخصومه لا مخرج منها وإن كان دى جول على حق فإن البرلمانيين كانوا على حق أيضاً .

كان دى جول مؤمناً بأمرين ، أولهما فرنسا وثانيهما بشخصيته كرمز لفرنسا ، كان يريد فرنسا قوة عظمى ، ولذلك صمم على أن تمتلك قوة ردع نووية خاصة بها . كان دى جول يحتاج إلى وقت لتحقيق آماله ، ولكنه كان قد تعدى السبعين :

كان دى جول يتمتع بقوة أحتمال جسمانية كبيرة وبقدرة ذهنية منطقية نادرة وبذكاء حاد رفيع وببعد نظر نافذ ، كانت تعبيراته مقتضبة ودقيقة وقاطعة فى إبداء الرأى واتخاذ القرار .

كانت خطب دى جول من أقوى وأجمل ما سمع العالم بعد خطب تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية ، أمتازت بقوة المنطق ووضوح المعنى ، وفى كثير من الأحيان فاق تشرشل فى قوة الاقناع والتعبير .

فى ٢٩ يناير سنة ١٩٦٠ تحدث إلى الشعب الفرنسى على شاشة التليفزيون بشأن الموقف الخطير المتدهور فى الجزائر وكان حديثه هذا أقوى ما سمعه الشعب الفرنسى والعالم ، قال فى الابتداء « إن كنت قد ارتديت السترة العسكرية اليوم وأنا أتحدث إليكم فذلك لكى تتبينوا بأن الجنرال دى جول هو الذى يتحدث ، وأن رئيس الدولة هو الذى يتحدث أيضاً » إذ أن دى جول كان كثيراً ما يشير إلى نفسه — حتى فى مناقشات مجلس الوزراء

الفرنسى — بصيغة الشخص الثالث ، فيقول بأن دى جول يرى كذا وكذا ... وأن دى جول قد قرر كذا وكذا . . .

كان دى جول بعيد النظر صادق البصيرة فى تصرفاته ، كان يتصرف ويحكم على الأحداث وكأنه يقرأ عن مستقبل مفتوح وقد أثبتت أحداث التاريخ صدق توقعاته ، اعترف له كل فرنسى على أى مستوى بصدق وطنيته وبترفعه عن أية مصلحة شخصية .

كان دى جول بطبيعته وبتكوينه ، زعيما لم يكن يسعد إلا إذا رأى الجماهير من حوله بحماستها وحرارتها ، وبحرارة تلك الجماهير وبحماستها كان مؤمناً برسالته فى خدمة بلاده وبرسالة فرنسا الحضارية فى أوربا وفى العالم . لقد طغت شخصية دى جول على سياسى عصره فاتهموه بأنه شديد التصعب لفرنسيته ولوطنه ولكن هذا الاتهام لم يكن ليبدل إيمانه برسالة بلاده لأنها كما قال رسالة الحضارة والسلام .

قليل من الزعماء فى تاريخ هذا العالم يمكن أن يقال عنهم بأنهم قد أنقذوا بلادهم .

كان آبراهام لينكولن واحداً من هؤلاء ، وكان تشرشل زعيما آخر ، ولكن شارل دى جول تفوق عليهما فقد أنقذ فرنسا فى حياته مرتين ، وهى ظاهرة نادرة فى تاريخ حياة البشر . دى جول هو الذى انشأ فرنسا الحرة سنة ١٩٤٠ لكى تشترك فى الحرب بجانب الحلفاء وتقاسمهم النصر وتحتفظ لفرنسا بمكان مشرف بين المنتصرين وبدون دى جول ما كانت لتوجد فرنسا الحرة ، وكانت فرنسا قد أشرفت على حرب أهلية خطيرة سنة ١٩٥٨ نتيجة لأزمة الجزائر فتقدم دى جول ليتسلم زعامتها ويقودها إلى بر الأمان والسلام فهو فى المرة الأولى قد أنقذ فرنسا من المانيا النازية وفى المرة الثانية أنقذ فرنسا من نفسها .